وزارة لتعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

بعنوان:

الهجرات الداخلية والخارجية في المغرب الأوسط قبل الهجرة الهيلالية من القرن 1 هـ إلى 5هـ

مذكرة ضمن متطلبات لنيل شهادة ماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين :

- بوسهوة آسيا
- فرقاني أمال

تحت إشراف الدكتور:

- حمزة حاجي

أعضاء لجنة المناقشة

حاج كولة عبد العزيز ..... رئيسا

حاجي حمزة..... مشرفا

العمري عبد النور .....مقيما

السنة الجامعية

1442-1443هـ / 2021-2022م

شكر وتقدير

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى نحمدك ربي حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

وكما جاء في الأثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

ولأن الشكر ترجمات النية ولسان الطوية وشاهد الإخلاص فإننا نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والعرفان للأستاذ الفاضل "**حمزة حاجي** " على متابعته لخطوات هذا العمل ولتوجيهاته الدقيقة التي أفادتنا في ضبط البحث معرفيا ومنهجيا فبارك الله في عمله وجزاه الله علينا خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وإلى كل من قدم لنا المساعدة من قريب أو بعيد.

قال تعالى: " إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ".

إهداء

قال تعالى: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا "

إليك ياخير لناس يا من كنت لي بنراس، حبيبي ونبيي وقدوتي محمد عليه الصلاة والسلام.

إلى منبع الحنان والحب والعطاء ومن سهرت على تربيتي وعلمتني الصبر والفضيلة أمي الغالية.

إلى الذي منحني جهده وثقته وكان الشعلة التي أنارت درب الحياة الذي أراد أن نكون أبناء صالحين يفتخر بهم أبي الغالي.

إلى أخواتي: صالح، محمد، اسماعيل، وأختي الغالية وزوجها.

إلى فرحة الأسرة وبهجتها: مريم، بلال، ريان.

إلى صديقة الدرب الدراسي وزميلتي في هذا العمل " أمال "

إلى صديقاتي " نبيلة وحياة وسارة وفطيمة وهدى ".

وإلى أقاربي كل من أخوالي وأعمامي.

إلى كل الذين حوتهم ذاكرتي ولم تحوهم مذكرتي.

آسيا

إهداء

أهدي عملي المتواضع هذا:

إلى من قال فيهما الله تعالى: " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا "

إلى الشجرة التي لا ينحصر لها ظل، والتي أصلها ثابت وفروعها في السماء

إلى مدرسة الحياة ورمز الحب والحنان والصبر والعطاء وإلى معنى الوجود

إلى من تعبت وسهرت الليالي الحالكة لأرى النور، علمتني أن الحياة عطاء إلى هدية السماء " أمي الغالية الحبيبة " حفظها الله ورعاها.

وإلى رمز الجهاد ورمز السند ومن أحس في وجوده بالأمان وإلى لهيب طموحي إلى العزيز الغالي الذي تعب من أجل تربيتي وضحى بالكثير في سبيل نجاحي " ابي الغالي " على قلبي كثيرا أمده الله بالصحة والعافية وأطال الله في عمره.

إلى مصدر السعادة في هذه الحياة إخوتي: محمد – فتحي – سفيان – وأختي الغالية سليمة وزوجها ضيف الله وعائلته، وإلى أختي العزيزة مسعودة التي ساعدتني وشجعتني هي الأخرى على مواصلة الدرب والنجاح.

وإلى مصدر الفرحة والسعادة في العائلة: الكتكوتة لينا وأخوها هارون عبد المجيد

وإلى جميع أقاربي عمي وعماتي وخالتي وبالأخص خالتي زاهية التي أتمنى لها الشفاء العاجل والرجوع إلينا في صحة جيدة.

إلى رمز الصداقة والأخوة التي تقاسمت معها ثمرة هذا الجهد: آسيا وإلى صديقاتي الأوفياء: نبيلة – حياة – سارة – فطيمة .... .

وإلى صديقي: أسامة – ياسين

إلى كل من أعرفه من قريب أو من بعيد

أمال

مقدمة

مقدمة:

يعد التاريخ الاجتماعي مجالا خصيصا في الدراسات التاريخية، وذلك لتنوع مواضيعه والتي يمكن من خلالها التعرف على صورة وملامح مجتمع ما وفي فترة معينة انطلاقا من الواقع الفكري والنفسي والسياسي ومظاهر الحياة اليومية وعلاقة أفراده فيما بينهم أو بينهم وبين السلطة القائمة والتي من خلالها نستطيع فهم ذلك المجتمع، وبالتالي تفسير أي ظاهرة تحدث فيه، وإذا كانت هذه المواضيع خصبة وشيقة فإنها من جهة ثانية صعبة وشائكة قد تصل أحيانا إلى حد السكوت عن بعض مواضيعها نظرا لتشعبها وارتباطها بجوانب متعددة سياسية ودينية واجتماعية وعرفية، ولذلك يجب على الدارس أن يراعيها ويكون على درجة من العلم بها للوصول إلى نتيجة علمية صحيحة عند تفسير أو معالجة مثل هذه القضايا.

ومن القضايا والظواهر الاجتماعية الملازمة للمجتمع والتي لا تكاد تخلو منها فترة أو مكان ظاهرة الهجرة، وإذا كنا كثيرا ما تشد الاستقرار كسبب لقوة الدولة وازدهارها فلا يبدو أن تيار هذه الظاهرة سيتوقف في أي وقت من الأوقات أو مكان من الأمكنة وبالعودة إلى بلاد المغرب في العصور القديمة سنجد أن حركة الهجرة شكلت جزءا من تاريخه ومن حياة شعبه ، وذلك من خلال الهجرات الوافدة إليه أو من خلال تحركات قبائله، داخل أقاليم بلاد المغرب، سواء كان السبب في ذلك فترات الاستعمار التي توالت، أو طبيعة بيئته وحياته القائمة على الرعي والترحال.

تعتبر الهجرة من الظواهر الاجتماعية التي عاشها المغرب الأوسط على مر التاريخ وفي فترات مختلفة ولذلك فإنه من الأهمية بمكان معالجة مثل هذه الظواهر لأنها تمثل جزءا من تاريخه الطويل، ومن خلالها يمكن رسم صورة عن المجتمع ومعرفة بعض المحطات الهامة في مسيرته، كما تعد أحد عوامل بنيته وتركيبه نتيجة دخول عناصر بشرية وافدة من مناطق عدة وأعراق مختلفة امتزجت وأعطت صورة المجتمع، إضافة إلى ذلك فإن هذه الظاهرة ساهمت في الترابط الاجتماعي والثقافي بين المغرب الأوسط وبعض أقاليم العالم الإسلامي، فجاء موضوعنا الموسوم ب: " **الهجرات الداخلية والخارجية في المغرب الأوسط قبل الهجرة الهلالية** ".

وقد اهتممنا بهذه الفترة لعدة اعتبارات:

. الأحداث الهامة التي عرفها العالم الإسلامي في المشرق والمغرب والتي كان لها الأثر المباشر في حركة الهجرة كحركة الفتح التي شهدها المغرب بداية من فتح برقة وطرابلس كان له تأثير واضح في الرغبة في الهجرة إلى البلدان المجاورة والأخذ من علومها ومعارفها، إضافة إلى قيام الدولة الحمادية التي تأسست في قلعة بني حماد.

دوافع اختيار الموضوع:

أ – موضوعية:

. تعتبر الهجرة من أحد أهم الأسباب والمواضيع الاجتماعية التي لا تزال بحاجة إلى بحث وتعمق.

. قلة الدراسات في هذا الموضوع بالنسبة للمغرب الأوسط، في حين اهتم باحثون في بلدان مغربية بالتأريخ لهذه الظاهرة في بلدانهم سواءا من خلال مقالات أو مؤلفات وحتى الحال بالنسبة للأندلس نجد أيضا كتب كثيرة ونجدها تنعدم هذه الدراسات في المغرب الأوسط.

. إن معظم الدارسين الذين ألفوا في تاريخ بلاد المغرب كانوا يركزون على إفريقية والمغرب الأقصى ويتغافلون عن المغرب الأوسط، فنجدهم يدرجون علماء المغرب الأوسط إما ضمن علماء إفريقية أو علماء فاس، وهوما طرح مشكلة الهوية.

. إبراز أثر ودور ظاهرة الهجرة في المغرب الأوسط في الميادين الاجتماعية والعلمية من خلال التواصل والتبادل الثقافي.

. مساهمة الهجرة في تشكيل مجتمع المغرب الأوسط في هذه الفترة بعد استقرار العديد من المجموعات البشرية الوافدة من مختلف العناصر واندماجها مع الأهالي.

. كان المغرب الأوسط منطقة عبور واتصال بين الغرب الإسلامي ومشرقه وبين الأندلس والممالك المسيحية في أوروبا وبلاد السودان، وهو ما أدى إلى ازدهار التجارة البرية والبحرية التي مثلت إحدى طرق الانتقال البشري.

ب – ذاتية:

. معرفة أهم الأسباب والدوافع التي تدفع إلى الهجرة ومحاولة إيجاد حلول.

الإشكالية:

أما بالنسبة لمحور الإشكالية التي أثرتها في موضوع البحث فهي:

" الهجرة الداخلية والخارجية وأثر ذلك وخلفياته "

والتي تندرج عنها مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما موقع المغرب الأوسط من هذه الظاهرة؟
- ما تأثير الهجرة في المغرب الأوسط؟ وما دورها؟
- ما العلاقة بين الهجرة والأوضاع السياسية والمذهبية في العالم الإسلامي؟

المبحث الأول: الهجرة دوافعها وآثارها

حيث قمنا بتعريف الهجرة كظاهرة اجتماعية من حيث المعنى اللغوي واصطلاحا وقد وضعنا تعريفا لأشكال الهجرة من خلال عدة تعريفات معتمدة والحكم الشرعي للهجرة.

وأيضا أثار هذه الهجرة على المغرب الأوسط حيث نجد أنه كانت لها نتائج إيجابية على مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية كالمساعدة في الغزوات وأيضا من خلال ناحية الاقتصاد الوطني.

والسلبية اعتبارهم عناصر دخيلة واعتبروا أنفسهم مقيمين وأقاموا مشاكل أمن عن دوافع الهجرة فقد تعددت إما لطلب العلم أو العرب من الاضطهاد في بلادهم.

المبحث الثاني: الهجرات الداخلية

وتتعلق بحركة القبائل داخل المغرب الأوسط سواءا العربية منها أو البربرية، مع ربط ذلك بقيام الدولة الحمادية وسياستهم في المنطقة وما نتج عنها من أحداث كان لها الأثر المباشر في حركة الهجرة، كتأسيس قلعة بجاية التي كان لها الأثر الكبير في الهجرة من خلال التطور الذي عاشته ومن خلال سلاطينها.

وأيضا القبائل الصنهاجية التي بدورها كان لها أثر في الهجرة التي تأسست مع القبائل الزيرية، وقد عرفت تشكل حلف كبير والذي عرف تطور مع بداية القرن الرابع هجري بالإضافة إلى القبائل ذات أصل بربري التي كان لها فروع تطورت كثيرا عرفت دور كبير في الهجرة خلال توافد الأعداد الهائلة إليها.

المبحث الثالث: الهجرة الخارجية

وتتعلق بحركة البلدان القادمة إلى المغرب الأوسط وخاصة الأندلسيين الذين نجد توافد عدد كبير منهم نظرا للقيام سلاطين الزيانيين بحثهم على الهجرة وأيضا الهروب من الاعتداءات النصرانية وأيضا قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب وما كان لها من أثار ونتائج سواءا على المستوى الداخلي أو الخارجي.

ثم انتقلت إلى بجاية إضافة إلى القبائل الصنهاجية ودورها في الهجرة.

- الخلافة الفاطمية بالمغرب والتي كان لها دور من خلال اختلاطها مع القبائل البربرية ككتامة التي كان له دور كبير في الخلافة الفاطمية بالمغرب الأوسط.

أما دوافع اختياري للهجرة كموضوع للدراسة فيعود إلى كونه من المواضيع الاجتماعية التي لا تزال بحاجة إلى بحث، إضافة إلى أسباب أخرى يمكن اختصارها فيما يلي:

1 – قلة الدراسات في هذا الموضوع بالنسبة للمغرب الأوسط، في حين اهتم باحثون في بلدان مغاربية بالتأريخ لهذه الظاهرة في بلدانهم سواءا من خلال مؤلفات أو مقالات فنجد مثلا: دراسة محمد الطالبي بعنوان: الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين " الذي تناول فيه أسباب وظروف وهجرة الأندلسيين وقصد إلى إفريقية في حين كادت تنعدم هذه الدراسات في المغرب الاوسط

المنهج المتبع:

إن طبيعة الدراسة جعلتنا نتبع المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وذلك من خلال شرح مصطلحات وسرد الأحداث وتتبعها والتأريخ لها وتمحيصها واستخدامها للمصادر الجغرافية في وصف المدن والأمكنة في بلاد المغرب الإسلامي.

ولدراسة ومناقشة هذا الموضوع وضعت خطة تقوم على ثلاث فصول، محاولة معالجة بطريقة مباشرة ومركزة.

الدراسات السابقة:

ومن خلال ما قمنا به من دراسة الهجرة من الفتح إلى القرن الخامس هجري نجد كتب قليلة تحدثت عن هذه الفتح ربما لسبب طول المدة للفتح والذي لم يكن منظما وأيضا كتب تحدثت عن المغرب الأقصى وافريقية وأهملت المغرب الأوسط، فهناك كتب قليلة تحدثت عنها القبائل الأمازيغية أدوارها، مواطنها، أعيانها، لبوزياني الدراجي الذي اقتصر على ذكر القبائل العربية في جزئه الأول، أما جزئه الثاني تحدث عن القبائل البربرية كما أوردها ابن خلدون من دون تحليل أو تعليق غالبا.

أما ما ألف حول هجرات الأندلسيين فلدينا كتاب مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر " لناصر الدين سعيدوني، والذي تناول فيه مرحلة ما بعد سقوط غرناطة سنة 798 هـ – 1492 هـ وقد أشار إلى هجرة الأندلسيين لكن بشكل مختصر وفيما يخص للمجلات نجد الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي لفؤاد طومارة والتي نوقشت في 2015 تحدث فيها عن الدوافع والعوامل التي أدت بالهجرة إلى المغرب الأوسط.

أما بالنسبة للمقالات فنذكر منها الهجرة الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (5هـ/ 11 م) واقعها وتاثيرها قافة بكوش، قسم التاريخ، تلمسان، العدد السابع جانفي 2018 تناول فيها عن تعريف للهجرة وواقع الزحف الهلالي نحو المغرب ونجد أيضا مرجع لمحمد طمار يتحدث عن المغرب الأوسط في ظل صنهاجة فقد تحدث فيه عن الصراع بين الأمويين ومنهاجه والإمكانيات التي تمتعت بها صنهاجة.

إن الهدف من هذه الدراسة هو محاولة تقديم بحث للمغرب الأوسط من قبائل بربرية وعربية وتفسير ظاهرة الهجرة وتتبع مسارها لإعطاء صورة واضحة عن الوضعية السكانية التي يستقر عليها المغرب الأوسط.

ربط الهجرة بالمظاهر الاجتماعية والثقافية والمواضع الجغرافية ذات العلاقة بقبيلة أو شخص أو حادثة لا تزال معروفة، والتي تعد مرجعية تاريخية لها.

عرض ونقد المصادر والمراجع في البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع المشرقية والمغاربية، وسأقتصر على ما كان مهما منها، أوله علاقة مباشرة بالموضوع.

كتب التاريخ العام:

الكامل في التاريخ لإبن الأثير أبي الحسن علي بن محمد (ت 630هـ/ 1230م) اهتم بتاريخ بلاد المغرب ويعتبر مصدر سهل للبحث فيه، لإوراده لنصوص نادرة.

. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لإبن عذارى أبي عبيد الله محمد بن أحمد المراكشي (ت 712 هـ/ 1312م) من أهم مصادر التاريخ الإسلامي وخاصة الغرب الإسلامي اعتمدنا عليه فيما يخص أحداث الأندلس.

. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر أو تاريخ ابن خلدون، لأبي زيد عبد الرحمان بن خلدون (ت 808 هـ/ 1408 م)وقد كان هذا المصدر بمثابة العمدة باعتباره الوحيد الذي ألم بأنساب وتاريخ قبائل العرب والبربر، والتعريف بالأماكن ومسار عبرتها.

. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون (ت 780هـ/ 1378م) وقد استفدت من هذا الكتاب من خلال التحدث عن فترات الفتح الإسلامي وعن سلاطين هاته الدول.

كتب التراجم والطبقات:

الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني أبي العباس أحمد بن أحمد (ت 714هـ/ 1314م) استفدنا منه التعرف بأهم دول المغرب الإسلامي والأندلس.

كتب الجغرافيا:

معجم البلدان لياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ/ 1228م) لا يكتفي صاحبه بتعريف المدن فقط، بل يورد معلومات تاريخية، وحتى تراجع للأعلام الذي اشتهرت بهم المدينة، وهو سهل للبحث لاعتماده على حروف المعجم

صورة الارض لابي القاسم بن حوقل النصيبي (ت 367هـ- 978م)الذي استفدنا منه بالتعريف بمدن المغرب الأوسط وقد انفرد في بعض أجزائه بروايات لم ترد في المصادر الأخرى.

المراجع:

تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمحمد بن مبارك الميلي وقد استعان به بالتعريف في بعض القبائل العربية.فيها.

القبائل الأمازيغية (أدوارها – مواطنها – عيانها) لبوزياني الدراجي وقد استفدنا منه خلال تعريف واضح للقبائل العربية والبربرية ومواطن تواجدها.

دور كتامة في الخلافة الفاطمية لموسى لقبال استفدنا منه في التحدث عن قبيلة كتامة ودورها في الخلافة الفاطمية

هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال افريقيا وبلاد السودان واسحاق ابراهيم وقد استفدنا منه بالتعرف على هجرات الهلاليين في غرب واد النيل وحتى ذهابهم للسودان.

الصعوبات والعراقيل:

أما بخصوص الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث:

- صعوبة وضع بعض الأحداث في إطارها التاريخي، بحيث تورد المصادر أحيانا المعلومات بصيغة العموم دون تاريخها.
- عدم استعمال المصادر لمصطلح الهجرة، وإنما بمفردات مشابهة كالترحال أو الخروج.
- عدم ذكر الهجرة كظاهرة مستقلة، وإنما في سياق الأحداث، وخاصة أثناء الصراعات.
- اقتصار المصادر على ذكر فئة معينة من المجتمع كالأعلام المشهورين.
- نقص تطرق المصادر والمراجع لظاهرة الهجرة في المغرب الأوسط، بينما نجد توفرها بالنسبة للمغرب الأقصى وافريقيا.

المبحث الأول: الهجرة دوافعها وآثارها.

المبحث الاول: الهجرة دوافعها وآثارها

أولا: تعريف الهجرة.

أ. لغة.

ب. اصطلاحا.

ج.الحكم الشرعي للهجرة.

ثانيا: أشكال الهجرة.

ثالثا: دوافع الهجرة.

رابعا: آثار الهجرة.

تعريف الهجرة:

لغة: من الهجر، ضد الوصل، فهجر الشيء بمعنى تركه. وهجر الرجل هجرا إذا تباعد ونأى.

والهجرة بالضم وهي الخروج من أرض إلى أخرى، وقد اختلف في مدة الهجرة، فيصل السنة فصاعدا، وقيل بعد ستة أيام فصاعدا وقبل المغيب.[1]

اصطلاحا: انتقال فرد أو جماعة من منطقة إلى أخرى داخل بلده أو خارجه إما بصفة دائمة (هجرة استيطان) أو بصفة مؤقتة (هجرة عودة) وذلك بصورة إرادية أو قهرية.

ورد لفظ الهجرة في القرآن الكريم ثلاثين مرة في ست وعشرين آية من سبع عشرة سورة، وجاء لفظها بصيغة الفعل عشرين مرة، وبصيغة اسم الفاعل ثماني مرات ومرة واحدة بصيغة اسم المفعول، ومرة واحدة بصيغة المفعول المطلق، أما السور التي وردت فيها فهي: البقرة: 218/ آل عمران: 195/ النساء: 34، 89، 97، 100/ الأنفال: 72، 74، 75/ التوبة: 20، 100، 117/ النحل: 41، 110/ مريم: 46/ الحج: 58/ النور: 22/ الفرقان: 30.

أما في الحديث الشريف، فعن عبد الله بن عمروا رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه".[2]

الحكم الشرعي للهجرة:

يتعلق حكم الهجرة أساسا من الناحية الفقهية بإقامة شعائر الإسلام ثم المحافظة على النفس وهما من الكليات الخمس التي حرص الإسلام على حفظها وهي:

الدين والعقل والنسل والنفس والمال والهجرة من الخوف على الدين والنفس كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المكيين فإنها كانت عليهم فريضة لا يجزى إيمان بدونها فأما الهجرة من أرض الكفر فهي فريضة إلى يوم

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق لسان العرب نخبة من العاملين بدار المعارف (عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي)، دار الكتب العلمية بيروت، 2005م، ص 4617-4618-4619-4620.

[2] محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي البحاري ويكنى بأبي عبد الله، (ت 256ه) صحيح البخاري، ضبطه محمود محمد محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 14ه-2007م، رقم الحديث 10 ص 18.

القيامة[1]، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة فإن قيل: فإذا لم يوجد بلد إلا كذلك، قلنا: يختار المرء أقلها إثما، مثل أن يكون في بلد فيه كفر. وبلد فيه جور خير منه. أو بلد فيه عدل وحرام، فبلد فيه جور وحلال أولى للمقام. أو بلد فيه معاصي في حقوق الله فهو أولى من بلد فيه معاصي في ظلم العباد.[2]

إن حكم الهجرة يختلف من حيث الزمن والظروف والمكان المهاجر منه، فالهجرة في ظروف سياسية معينة كغزو العدو تختلف عن الهجرة في ظروف أخرى.[3]

إن حركة الهجرة الداخلية والخارجية التي عرفها بلاد المغرب عموما وبلاد المغرب بصفة خاصة لا يمكن تجاهلها باعتبارها ظاهرة اجتماعية عاشتها القبائل والتي يجب دراستها سواء باعتبارها كنمط للحياة وما انطوت عليه من أبعاد وآثار كانت نتيجة أسباب وظروف سياسية ومذهبية أو اجتماعية.[4]

أشكال الهجرة:

وقد اتخذت الهجرة أشكالا ومظاهر متعددة منها:

أ. **الإجلاء:** ومنه الجلاء والجلاءة ومعناها استخدام القوة في رمي الشيء ودفعه لذلك أطلق لفظ أو

مصطلح الجالية على مهاجري الأندلس الذين أبعدوا بالقوة وتحت التهديد من طرف النصارى وتركوا ديارهم وانجلوا عن وطنهم، وعادة ما يتم هذا الشكل من الهجرة بصورة جماعية نتيجة سقوط مدينة أو حصن في أيدي العدو.[5]

ب. التغريب: ومنه الغربة أو الاغتراب والتغرب، ويكون بصورة فردية أو جماعية رغبة أو

---

[1] الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المقرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب (ت 914هـ/1508م) خرجه محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية (1401هـ/ 1981م) ج2، ص 440.

[2] ترتيب المدارك وتقريب الممالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، ج2، ص 219.

[3] الأحكام السلطانية والولايات الدينية،تحقيق نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دت، ص 75.

[4] محمد باشا ابن الأمير عبد القادر: نخفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تحقيق محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، 2013م، ص 213.

[5] محمد بن يعقوب، الفيروز الأبادي، ت 717 هـ، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2005م، ص 14.

إكراها، ومنها هجرة الهلاليين عندما خرجوا من مصر بدافع من العبيديين الذين أغروهم بخصبها وطيب مراعيها. وقد يكون التغريب الذي كثيرا ما تقوم به السلطة ضد فرد أو جماعة أو قبيلة لعقابها أو من أجل الاستفادة من خدماتها.[1]

ج. النفي: مثل التغريب لكن عادة يكون بصورة فردية بنفي شخص لدفع خطره أو عقابا له وهو من الحدود الشرعية التي تصدر ضد المخالفين الذين يشهرون السلاح في وجوه الناس فيقطعون طريقهم، ويطبق عليهم حد الغرابة.[2]

د. الرهن: وهو ان يأخذ السلطان أو من له السلطة، شخصا أو عدة أشخاص من قبيلها إذ ينقل

هؤلاء للسلطة بحيث يستقروا هناك بصفة نهائية.

هـ. الأسر: ويكون عادة أثناء الحروب والقارات المتبادلة بين المسلمين والنصارى وإذ لم يتم

افتداءهم من قبل أهلهم أو السلطان يدمجون في الجيش أو يتخذون كخدم وعمال فيصبحون جزءا من المجتمع.[3]

و. الرقيق: يجلب من أسواق قائمة ومعروفة، أي الأشخاص يباعون ويشترون كسلعة وكان يجلب

بصفة خاصة من بلاد السودان، ومن طرق دخولهم لبلاد المغرب ما كان يتبادله السلاطين من هدايا من ضمنها الخيول واللباس والعبيد والجوارب وكان هناك نوعان الرقيق الأسود والأبيض.[4]

ثانيا: دوافع الهجرة.

عرف المغرب الإسلامي في الفترة الممتدة من أواسط القرن الثاني إلى نهاية القرن الخامس هجري أحداثا تاريخية هامة، مثلت ذروة التفاعل والنشاط السياسي والعسكري والمذهبي والحراك الاجتماعي في العصر الوسيط، كان لها الأثر المباشر في تحرك وهجرة الجماعات والأفراد سواء بالنسبة للقبائل البربرية. أو القبائل العربية، فهذه الأخيرة لم

[1] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مكتبة القاهرة، ج2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1991، ص 1943.

[2] واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م، ص 152.

[3] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال منشأة التعريف بالاسكندرية، 2003، ص 111.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 2043.

تأخذ قرارها النهائي وظلت كقوة اجتماعية وعسكرية استعملتها الدول القائمة أحيانا، وأصبحت في أحيان أخرى منافسة لها وهو ما جعلها محركا للهجرة نتيجة الصراع والتدافع فيما بينها، أو بينها وبين السلطة القائمة.

سياسيا:

حيث نجد أن أمراء بني حماد يدفعون خطرهم وآذاهم بإعطائهم نصف غلاة البلاد وهو مقدار كبير وهذا يعني أنهم كانوا يقسمون ثروات البلاد. ولاشك أن هذا الموقف من جانب بني حماد يعني قدرتهم على صد هذه القبائل والوقوف[1] ضدها.

الدولة الحمادية عرفت تطورا كبيرا خاصا في عهد حماد الذي برزت فيه شخصية خاصة في عهده مع باديس[2] بن المنصور وقد اتسعت مدينة حماد كثيرا وعظم شأنها واعتبرت ذات قوة سياسية وحضارية في الفترة الممتدة ما بين 408هـ التي كانت فترة تكوين الدولة الحمادية إذ استطاع تحقيق شخصية لدولته خاصة بعد أن بدأ يشعر بأن له من القوة التي تمكنه من تأسيس كيان مستقل عن التربويين أبناء عمومته خاصة بعد الاشتباكات التي دارت بينهم إلى أن عقد صلحا بالمصاهرة ومنذ ذلك العهد أصبحت دولة بني زيري منقسمة إلى فرعين: بنوا زيري في إفريقية وبنوا حماد في المغرب الأوسط.[3]

مرت الدولة منذ ظهورها على المسرح السياسي بالعديد من المراحل واجهت فيها العديد من التحديات والأطماع سواء من الداخل أو الخارج لكن هذا لم يمنعها من إقامة علاقات مختلفة سياسية وتجارية وثقافية سواء مع القبائل البربرية كزناتة أو الزيريين.

رغم بعض الصراع والمواجهات السياسية الموجودة بين الحماديين إلا أنهم استطاعوا بناء دولة انتعشت علاقتها اقتصاديا وثقافيا حتى أصبحت مركزا ثقافي عام عامر بالوافدين.[4]

---

[1] أبي عبد الله محمد بن أحمد المراكشي (ت 712هـ - 1312م) البيان الغرب في اختصار أخبار ملوك المغرب والأندلس، المجلد الثاني، تحقيق، محمود بشار عواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 2013م، ص 124.

[2] باديس بن المنصور.

[3] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، الطبعة الثانية دار الوفاء للنشر، مصر، 1991م، ص 45-46.

[4] اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق ص 128-129.

لقد كان لعامل الهجرة وانتقال السكان من مناطق إلى أخرى يخضع لعامل الجذب والطرد فقد كانت سياسية الحاكم السمحة إضافة إلى الرقي الحضاري دور في جذب أفراد عديدة قصد طلب العلم والعيش تحت ظل الدولة خصوصا في فترات الاستفادة من الرخاء الاقتصادي وكون قلعة بني حماد لها أهمية اقتصادية لأنها العاصمة السياسية لبني حماد.

لأنها تعد مركزا تجاريا عالميا يجذب إليها القوافل من الشرق والغرب ومن الصحراء وبلاد السودان.[1]

ولقد كانت تجار القلعة ميسوري الحال بسبب السلع القادمة من الشرق والغرب والجنوب.[2] لأن القلعة ظلت محطة تجارية ذات شأن كبير في القرن 5هـ/11م. إذ عادت عليها بثروة عظيمة مما جعلها ترتقي فعلا إلا مرتبة العاصمة الثرية الأهلية بالسكان وكان للثراء المادي عامل في استقطاب السكان من أجل المتاجرة وهذا ما أوجد لنا فضاء اقتصاديا أدى إلى احتكاك واستقطاب التجار. يقيمون في المدينة ويتعاطون التجارة في الأسواق وفي دكاكينهم، عبر الدروب والأحياء، وقد ينتقل بعضهم إلى المدن المجاورة والأسواق والأسبوعية الموسمية وإلى القرى والبوادي لشراء المنتوج الفلاحي من الفلاحين مباشرة.[3]

أما النوع الثاني من الهجرة، فهي تكون قهرية نتيجة لعامل الضغط من طرف فئة أخرى، وهذا ما حدث في القيروان التي فقدت إشراقها السياسي والعلمي، كمركز إشعاعي في المغرب بعد اجتياح قبائل بنوا هلال وخرابها على أيديهم، وهذا ما انعكس بالإيجاب على حاضرة القلعة ولجوء أهل إفريقية إلى قلعة بني حماد التماسا للامان زاد من حجم المدينة وازدهارها اقتصاديا وثقافيا إذا كان رجال العلم والثقافة ضمن العناصر الوافدة على المدينة منهم التجار وأصحاب رؤوس[4] الأموال وطلاب العلم ومن أمثلة العلماء أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر المعروف بالديباجي الذي رحل من إفريقية بعد غزو الهلالي للقيروان (119هـ/1057م).[5]

ومن العلماء المهاجرين القادمين من القيروان عاصمة بني زيري وعلى رأسهم ابن النحوي التوزري (ت 513هـ/1119م) وعبد الجليل بن أبي بكر القيرواني (469هـ/1076م).

[1] عبد العزيز قيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، دار الهدى، ين مليلة، ط1، الجزائر، 2012م، ص 76.

[2] أنيسة بركات، دور قلعة بني حماد في بناء حضارة المغرب العربي الإسلامي، المسيلة، ص 06.

[3] عبد العزيز قيلالي، المرجع نفسه، ص 76.

[4] عبد العزيز قيلالي، قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية، ص 10.

[5] محمد بن عميرة، القلعة بني حماد الثقافية الأولى، حوليات المؤرخ باتخاذ المؤرخين الجزائريين، العدد 1، الجزائر، 2002م، ص 106.

وهناك من المدرسة المالكية التي قام بتكوينهم العالم الفقيه عبد الرحيم بن أحمد الكتاني (ت 386هـ/996م) وكانت لها الرئاسة المالكية في قلعة بني حماد.[1]

لم تتوقف مسيرة العرب الهلالية عند ذلك الحد وتستقر بمجموعها بل واصلت سيرها نحو المغرب الأوسط فاصطدموا بدولة بني حماد وعندئذ شنوا حروبا شديدة عليهم.

كان بنو هلال المستقرين في مصر سببا لكثير من الاضطرابات والفتن وقد رأى الحكام الفاطميون ضرورة التخلص منهم وكانت الدولة الفاطمية في مصر تعاني من أزمات اقتصادية وصلت إلى حد المجاعة في القرن الرابع هجري.[2]

ويظهر أن الفاطميين حاولوا التخلص منهم دفعا للاضطرابات التي يثيرونها وتخفيها للأزمة الاقتصادية التي تعانيها مصر وذلك عن طريق الهجرة إلى المغرب.

إن الأزمة الاقتصادية في مصر قد أثرت في القبائل الهلالية ودعتها إلى التفكير في البحث عن مناطق استقرار أفضل فاختارت الحظر ليكون منقذا لها. ولاسيما أن هناك جماعات من عرب بني هلال كانت قد استقرت منذ مدة طويلة في (برقة) وهم بنوا قرة.[3]

كانت الحالة السياسية في المغرب إبان منتصف القرن الخامس هجري عاملا مهما في هجرة بني هلال ففي هذا الوقت تدهورت العلاقات بين آل زيري (من قبيلة صنهاجة) الذين تركهم الفاطميون لحكم بلاد المغرب بعد مغادرة الآخرين إلى مصر وبين السلطة الفاطمية في مصر وبمرور الزمن حاول آل زيري الاستقلال بحكم المغرب إلا أن تحقق لهم ذلك فعليا عام 443هـ ولما كان الفاطميون عاجزون عن مجابهة آل زيري عسكريا بعد أزماتهم الاقتصادية التي أشرنا إليها. قد قرروا توجيه القبائل العربية البدوية الضخمة التي تسكن الحوض الشرقي من مصر إلى بلاد المغرب انتقاما من آل زيري. فجاءت هجرة بني هلال إلى المغرب بموجب خطة وضعها اليازوردي وزير الحاكم الفاطمي المستنصر بالله بأن أصلح القبائل الهلالية المتصارعة وأعزى رؤسائها بالعطايا وأغدق على أفراد

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص ص 80-81.

[2] المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ج1، ص 228.

[3] ابن خلدون، العبر، ج2، ص 26.

قبائلهم بالهدايا. فاندفعت هذه القبائل غير نهر النيل ونزلت منطقة برقة حيث المراعي الخصبة لحيواناتها ومن برقة استمرت قبائل بني هلال بالتدفق إلى انحاء المغرب والصحراء.[1]

ثالثا: آثار الهجرة.

لقد تعرضت قلعة بني حماد للتدريب بعد موقعة سبيبة التي انهزم فيها الناصر ابن علناس، أثر هذه الهزيمة نهيت الحرب الهلالية معسكر الناصر بما احتوى من مال وسلاح ودواب وتقاسموا ثلث الغنائم والأسلاب[2] والأراضي لتوسيع حالها والاستقرار فيها على الرغم من أن القبائل الهلالية نالت مبتغاها من وراء التحالف مع تميم بن المعز ضد الناصر بن علناس حسب الاتفاق وهو تلك الغنيمة وكذا كسر شركة الناصر، وقد حصل، إلا أنها ما اكتفت بذلك بل أعقبته إثر هزيمته وقراره إلى قسنطينة ثم القلعة.[3]

وإذا كان كل من ابن الأثير وابن عذاري والنوبري قد اقتصروا نتائج وقعة سبيبة فيما حل بجيشه من قتل وبمعسكر من نهب[4]، فإن ابن خلدون قد أمدنا بأخبار هامة عن مصير عمران المدن، وما حل بمدينة القلعة بملاحقة العرب الهلالية للناصر إثر هزيمته فيقول: "...نجا إلى قسنطينة في اتباعه، هم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جيناتها وأحبطوا عروشها.[5]

وهكذا فقد امتدت يد التخريب الهلالي لعمران المغرب الأوسط وافتتحوا عهدهم في ذلك بتخريب جينات القلعة وإحباط عروشها والعبث فسادا بضواحيها[6]، بعد موقعة سبيبة 457هـ/1065م تعرضت مدينة القلعة للتخريب الهلالي أصبحت أغلبية المغرب الأوسط مجالا مطلقا لسلطان القبائل الهلالية لا ينازعهم فيها منازع فأقدموا على تخريب المزارع والقرى وقطع السابلة ونشر السابلة الخراب.[7]

[1] نفسه، ص 29.
[2] النويري، المصدر السابق، ص 123-124.
[3] اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 167.
[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص 373.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، مج8، ص 27.
[6] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الصحوة، ط2، القاهرة، 1991، ص 98.
[7] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 206.

ب- الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

إن الحديث عن الأثر السلبي الذي أحدثه الهلاليون على البنية الاقتصادية لمدن المغرب الأوسط نتيجة التخريب الذي ألحقوه بها يدفعنا للاعتقاد أن النشاط الاقتصادي لهذه المدن تضرر بشكل ملحوظ بعدما خربوا الزروع وأفسدوها وسيطروا على الأراضي وتملكوها واستأثروا بالبسائط والسهول[1]، حيث تقلصت الأراضي الزراعية وهو ما أدى إلى قلة الانتاج، وخاصة بعد هجرة السكان منها في أغلب الأحيان، بسبب الفوضى والاضطرابات حيث تركوا مزارعهم وحقولهم واحتموا بالمدن الحصينة[2] مثل مدينة القلعة.

وعندما قل الانتاج وأصبح لا يفي احتياجات السكان كم الغلاء وانتشرت المجاعات والأمراض[3]، واضطرت السلطة وأصحاب التجارة إلى دفع ثروات ضخمة لشراء الأمن والهدوء حتى دفعوا لأجل ذلك نصف غلاتهم ومحاصيلهم الزراعية [4]وضعف دورها كمركز تجاري هام، وعند ذلك غيرت القوافل التجارية مسالكها إلى الطرف التي يسودها الأمن وتعني بالحراسة[5]، وبذلك اختفت قلعة بني حماد كمركز تجاري هام في منطقة المغرب الأوسط[6] بعدما كانت وريثة حضارة القيروان بعد خرابها.

ت- الحياة الثقافية:

لم تحدث عمليات التخريب التي قام بها الهلاليون في مدن المغرب الأوسط تأثيرات سلبية على الوضع الثقافي لذلك الإقليم فبعدما كانت هذه المدينة هي المستفيدة من الوضع الذي آلت إليه القيروان بعد خرابها عندما استقطبت أكثر أهل القيروان، خاصة منهم رجال العلم الذين أسهموا كثيرا في ازدهار الحياة الثقافية لهذه المدينة[7]، حتى أصبحت كما ذكر ابن خلدون مقصدا للعلماء الذين رحلوا إليها من الثغور القاصية والبلدان البعيدة وكذلك

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص 27.

[2] عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السياسي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 190-191.

[3] يذكر ابن عذاري بأنه في سنة 469هـ كانت بإفريقية مجاعة عظيمة ووباء عظيم مات فيه الناس خلق كثير، انظر ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ج1، تحقيق، تحية من العلماء ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، ص 300.

[4] مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي.

[5] صالح يعزيق، المرجع السابق، ص 58.

[6] عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 191.

[7] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12، ترجمة جمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ص 99.

أرباب الضائع، لنفاق أسواق المعارف والتجارة والضائع بها[1]، بيد أنها ما لبثت أن أصبحت مكانا غير آمن بعد الدخول الهلالي للمنطقة وما جره من أعمال تخريب ونشر للفوضى والاضطرابات مما اضطر أغلب أهاليها وفي مقدمتهم العلماء إلى ترك القلعة والانتقال إلى بجاية وبذلك بدأت هذه المدينة تفقد إشراقها الثقافي لصالح العاصمة الحمادية الجديدة مدينة بجاية الساحلية.

أ– السياسية:

إذا كانت مدينة القلعة حاضرة بني حماد قد استفادت سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا من تدهور أوضاع منطقة المغرب الأدنى بعد خراب أغلب مدنه إثر الغزوة الهلالية، أين اضطر الكثير من التجار وأصحاب الأموال ورجال العلم والمعرفة للرحيل إلى مدينة القلعة للاحتماء بها، وطلبا للأمن والهدوء.[2]

فإن هذه الاستفادة التي حققتها القلعة بسبب المصائب التي حلت ببني زيري لم يمض عليها أكثر من عقد من الزمن حتى أصابها ما أصاب مدن المغرب الأدنى من عبث القبائل الهلالية التي خربت كذلك المدن والقرى والضياع والمزارع[3]، فانتشرت الفوضى وسادت الاضطرابات في ذلك الإقليم وتضررت المدن وضاقت أحوال ساكنيها[4]، عندما بدأت القلعة تفقد مكانتها السياسية على اعتبار أنها كانت عاصمة الإقليم[5] ولما استفحل أمر الهلاليين ولم يكفوا عن عبثهم وتخريبهم وقطعهم السابلة في المدن والضواحي ولم يجد الناصر بن علناس بدا من البحث عن بديل لهذه العاصمة بإيجاز موضع أكثر حصانة من القلعة في مكان بعيد عن تأثر العرب الهلالية وأعمالها التخريبية.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق.

[2] محمد بن معمر، القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى، مجلة حوليات المؤرخ، العدد الأول، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الأبيار، الجزائر، 2002، ص 107.

[3] صالح بعزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص 49.

[4] ابن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 27.

[5] علاوة عمارة، الحفريات بالحضارة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد التاسع جامعة الأمير عبد القاد، العلوم الإسلامية، قسنطينة 2002، ص 33.

فاختار موضع بجاية لبناء مدينته والعاصمة الثانية لدولته والتي تشكل ملجأ حصينا ضد الهلاليين، فهي بعيدة عن مجال تحركاتهم نظرا لوجود حواجز جبلية تفصل هذه المدينة عن المناطق التي تصول وتجول فيها جيل العرب الهلالية وبناء الناصر لمدينة بجاية.[1]

انتقل إليها سنة 461هـ/1068م، وجعلها مستقرا له وسعى إلى تعميرها، فشيد القصور والحمامات والأبراج، كما بنى دار الصناعة والأساطيل والمراكب والسفن وذلك بعدما نقل السكان من القلعة بعد تخريبها[2]، فغدت حينها عاصمة الحماديين خلق لمدينة القلعة.

ومن هنا يمكن القول أن الفوضى السياسية التي آلت إليها بلاد المغرب الأدنى عقب سقوط الحكم الزيري راجع إلى عدم قدرة القبائل الهلالية على تكوين دولة هلالية بالمنطقة رغم تهيأ ذلك لهم ويرجع أيضا إلى عامل العصبية القبلية الذي وحد عرب القرن الخامس هجري إلى عقيدة أو إديولوجية توحد صفوفها وتقنع غيرها يتبنى مبادئها.[3]

إلا أن الدور الإيجابي لقبائل بني هلال في بلاد المغرب فسوء العلاقات بين رؤساء قبائل بني هلال وبين الأمراء الزيريين لم يحل دون المشاركة في التصدي لغزوات الروم على مدن ساحلية.

أما تأثير القبائل العربية الهلالية اقتصاديا في أقاليم المغرب الإسلامي فيظهر من خلال الدمار الذي لحق بالمناطق التي حلوا بها كإفريقية وشرق المغرب الأوسط، نتيجة تخريبهم للمدن وحرقهم للمزارع في هجمات متلاحقة أتلفت التقدم العمراني التي تنعم به المنطقة.[4]

اجتماعيا:

دخول عناصر جديدة بدوية في هيكل المجتمع المغربي، وكان لهذه العناصر خصائصها العقلية والخلقية، كما تعرب قسم من سكان البلاد نتيجة التزاوج والاحتكاك بسكان المنطقة[5] كما أثرت القبائل العربية في لغة البربر نتيجة

[1] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمطار، نشر ألفرد دوكرمر، فيينا، 1852، ص 129.
[2] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 260.
[3] غالب السيد فرحات، علاقة القبائل الهلالية بأزمة إفريقية في القرن الخامس هجري مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج5، عدد 2، ص 132.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 16.
[5] رابح بونار، المرجع السابق، ص 200.

الاختلاط والمعايشة اليومية، فانتشرت بذلك اللغة العربية في أجزاء كبيرة من المنطقة. مما ساعد على انتشار الثقافة العربية ببلاد المغرب الإسلامي.

ومما لاشك فيه أن زحف بني هلال على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي كان ذا تأثير عظيم على جميع الأصعدة السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية.

وما يوضح جانب من هذا التأثير في الجانب السياسي ما عرفته المنطقة من اضطرابات وعدم استقرار فقد شهدت أسرة بني زيري بعد الهجرة الهلالية تفتت دولتها بعد أن فقد النفوذ الذي أولته لها العاصمة، فبالرغم من المقاومة الشديدة التي أبداها المعز بن[1] باديس إلا أن الحكم الزيري سقط نهائيا تحت ضربات الهلاليين، هؤلاء الذين قاموا باقتسام بلاد المغرب الأدنى فيما بينهم مرتين[2] حيث أصبح لبني هلال إفريقية من قايس غربا. وكان أهم بطونها رياح وزغبة والمعقل من رياح وجشم وفره والخلط وسفيان.[3]

والظاهر أن قبائل بني هلال أصبحت قوة عسكرية تخشاها السياسة بمنطقة المغرب الإسلامي عامة، وما يوضح جانبا من ذلك ما قام به تميم بن معز بن باديس الذي حلف والده في حكم ما تبقى من الدولة الزيرية، حيث سعى إلى إذكاء الأحقاد بين القبائل الهلالية بالخصوص بين بني رباح وبني عدي ضد الأثبج وزغبة، فكانت القبائل الهلالية بذلك تتحالف مع أكثر من جهة تحقيقا لأطماعها.[4]

ولم تم لبني هلال السيطرة على المغرب الأوسط بعد واقعة سبيبة، انتهج أمراء بني حماد سياسة ترويض القبائل الهلالية وذلك بالتحالف معهم تارة ورشوهم تارة أخرى، وهذا دفعا لخطرهم وآذاهم، فقد كان الناصر بن علناس يخصص سنويا جزءا من المحصول الذي يجنيه ويقدمه للهلاليين مقابل عدم التعرض له ولعاصمته.[5]

[1] ابن الأثير الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ج10، دار الكتب العلمية بيروت، 1987، ص 259.
[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 302.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 29.
[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 124.
[5] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص 272.

المبحث الثاني: الهجرات الداخلية في المغرب الأوسط.

أولا: الدولة الحمادية.

ثانيا: القبائل الصنهاجية ودورها في الهجرة.

ثالثا: هجرات القبائل ذات الأصل البربري.

المبحث الثاني: الهجرات الداخلية في المغرب الأوسط.

أولا: الدولة الحمادية.

1- نسب حماد:

كان حماد من قبيلة صنهاجة، التي كانت من أوقر قبائل البربر حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم

الثلث من أمم البربر وتنقسم هذه القبيلة إلى بطون عديدة بلغ عددها سبعين بطنا أهمها تلكانة بطن الزيريين والحماديين ولمتونة ومسوقة بطنا المرابطين.[1]

2- حماد قبل تأسيس الدولة الحمادية:

1) حماد في عهد المنصور:

بعد وفاة بلكين[2] بن زيري خلفه ابنه المنصور كخليفة للفاطميين على إفريقية والمغرب فيذكر ابن

خلدون في "تاريخ الدولة الحمادية"[3] إن المنصور "عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار".

- وصول حماد إلى أشير ثم تاهرت:

رحل باديس من تامديت ومر بدكامة حيث خضع له عدد كبير من أحلاف حماد بينما كان هذا الأخير سائرا إلى أشير ليتحصن بها لكن والي المدينة خلف الحمير، رفض أن يفتح له أبواب المدينة وخضع لباديس فاضطر حماد إلى مواصلة السير إلا أن وصل إلى تاهرت.[4]

---

[1] ابن خلدون، العبر، ص 309.

[2] **بلكين بن زيري:** مؤسس الدولة الحمادية بمدينة القلعة، بدأ حياته السياسية سنة 387هـ - 997م بقيادة الجيوش لقمع الثورات حيث أظهر مقدرة عظيمة في السياسة والبطولة الحربية واستمر في حكمه حتى توفي بتازمرت (انظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان 1980، ص ص 122-123.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 349.

[4] **تاهرت:** بفتح الهاء وسكون الراء، وتاء فوقها نقطتان: اسم المدينتين متقابلتين بأقصى الغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى المحدثة بين تلمسان وقلعة بني حماد البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص 251.

– وصول حماد إلى قلعة مغيلة ثم إلى قلعة بني حماد:

بعد معركة واد الشلف[1] توجه حماد نحو القلعة مقيلة التي تقع شمالي تاهرت على 25 كلم عن الشط، فوصل إليها يوم جمادى الأول 18/406 أكتوبر 1015 ثم سار إلى قلعة بني حماد بعد خمسة أيام.[2]

– الدور العملي في بناء الدولة:

لقد أمضى حماد عشر سنوات كاملة (395هـ/405هـ) (1004-1014م) وهو يعمل على تحقيق شخصية دولته، وإذا كان حماد قد نجح في زحزحة زناتة وفي بعثرتها، بحيث لم تقم لها قائمة في المغرب الأوسط باستثناء ما بعد تاهرت والمسيلة شرقا، فقد بدأ حماد يشعر بأن من حقه أن يبدأ في تدعيم شخصية دولة مستقلة في إطار الزيريين. وكانت أول خطواته في هذا المجال بناء القلعة وتمصيرها وكان يتردد بين أشير والقلعة وقد نجح في أن يكون أقوى شخصية في الزاب والمغرب الأوسط كله إلى الحد الذي جعل باديس يتخوف على مستقبل الدولة الزيرية.[3]

– الصلح وإعلان قيام الدولة:

ثمة عوامل مهمة جعلت المعز بن باديس يقبل هذا العرض من حماد، وقد كانت حالة حماد بالغة السوء.[4]

فهناك من يرجع سبب الصلح لكون سن المعز الذي لم يتجاوز الثامنة أو التاسعة هو السبب في جنوح الحاكمين باسمه والمتولين بأمره، وأيضا المعز ومن معه كانوا يشعرون بأنهم سيواجهون قوة أخرى أكبر من بني حماد وبسبب ميول المعز السنية كان لابد أن تقابل برد فاطمي ولهذا أحب الأمر باسم المعز وكذا أن يستفيدوا من خبرة حماد كحاجز قوي يفصل بينهم وبين زناتة ويجعلهم يتفرغون للحرب بجهة واحدة.

وقد التقت مصلحة دولة المعز بمصلحة حماد وعلى أساسها تم الصلح بعد أن أرسل ابنه رهينة وفق شروط المعز ورجاله. [5]

---

[1] **واد الشلف**: معركة حدثت بين حماد وباديس بن المنصور انتهت بانتصار باديس.

[2] ادريس، مناقب ابن اسعاف الجينياتي ومناقب محرز بن خلف، ص 382-383.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 350.

[4] أحمد بن محمد ابراهيم بن خيلكان، وفيات الأعيان، وانباء ابناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية، د.ط، ج3، 1318، ص 322.

[5] ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص 488.

– الملامح العامة للدولة:

تعرضت حدود الدولة على امتداد تاريخها لعديد من التغييرات المتتابعة فقد وضعت حدودها في المرحلة الأولى على أساس ملكية مشاعة قابلة للتعديل بحسب جهود منشئها. كما نص على ذلك الحقد السياسي والصلح، حين ذكر كل منهما أن لحماد مؤسس الدولة ما يفتحه من بلاد المغرب، كما أن طبيعة العلاقات السياسية كانت تخضع في ذلك الحين لمستوى الدولة نفسها ولمقدرتها على حماية حدودها.

لكن حدودها هي ما يعرف الآن ببلاد الجزائر (المغرب[1] الأوسط) ولم تتعدد حدود الدولة الحمادية الجزائر إلا في فترات قليلة من أيامها، حين امتدت شرقا فحكمت تونس والقيروان وصفاقس والجريدة وجربة من تونس[2]. ولم يتح لها أن تحكم هذا الجزء المضاف إليها حكما حقيقيا. كما أن الدولة كانت توشك في هذه الفترة على الدخول في مرحلة الأفول وكان قد ثبت أن صياغة أهل إفريقية (تونس) قد صارت إلى بني حماد. وأن تونس انقطعت عن ملك المعز و وقد مشيختها على الأمير الحمادي الخامس الناصر بن علناس (454هـ/481هـ) (1088/1026م) واستدعوا منه النظر إلى مدينتهم.[3]

وهناك من يرى أن حدودها لم تكن تتعدى حدود عمالتي الجزائر وقسنطينة. بيد أن الدولة كانت تمتد إلى الزاب[4] ووادي ريغ إلى ورقلة وارجلان في الجنوب إذ أن ورقلة تتوغل في الجنوب الصحراء الجزائري توغلا كبيرا. وهذا هو الذي جعل دولة الحماديين تعد الممثلة الكبرى لبلاد الجزائر خلال هذه الفترة. أما في الشمال الساحلي فقد كانت بونة وخليج سكيكدة المرسى التجاري لعمالة قسنطينة[5] أي ان الدولة الحمادية كانت تتمتع بشاطئ كبير يمثل قريبا من نصف شاطئ الجزائر الممتدة على البحر المتوسط.

لما توفي حماد سنة 419 هـ خلفه ابنه القائد الذي سار على نهجه ودعا للخلافة العباسية[6] مما أدى بالمعز أن يتجرد له على رأس جيشه[7]. سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وحاصره مدة طويلة[8] حتى تم الصلح بينهما.[1]

---

[1] **المغرب الأوسط**: منطقة من بجاية شرقا إلى واد ملوية غربا (وسط الجزائر وغرب) المقرب "مراكش" الآن، ...، معجم البلدان، ص 11.

[2] مبارك بن محمد المليلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية الجزء الثالث، الجزائر، ص 193.

[3] ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، ص 326.

[4] تاريخ الجزائر العام، عبد العزيز خيالي، الجزء الأول، ص 362.

[5] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية الطبعة الأسيرية 1323هـ، 1915م، القاهرة، ص 100.

[6] الجيلالي، المرجع السابق، ص 27.

[7] الخضيري، المرجع السابق، ص 78.

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 229.

وبسبب الأوضاع المواتية بعد انفصال المعز بن باديس عن الخلافة الفاطمية واجتياح القبائل الهلالية إمارة في إفريقية راجع القائد طاعة العبيديين ولقب بشرف الدولة[2] ويبدو أن هذه الطاعة للفاطميين لم تكن بنية خالصة وإنما هي مجرد سياسة فرضتها الظروف.[3]

تولى بلكين بن محمد سنة 447 هـ وكان المعز بن باديس في القيروان قد خلع سنة 477 هـ طاعة الفاطميين وتبنى طاعة العباسيين مما أدى إلى غضب المستنصر الخليفة الفاطمي إذ عمل على التخلص ودفع بجموع كثيرة من بني هلال وسليم إلى إفريقية بلاد المغرب فاكتسحوا برقة وطرابلس وإفريقية ولم يستطع المعز بن باديس دفع هذه السيول فانحاز إلى المهدية.[4]

وهذا ما أدى إلى خضوع المعز بن باديس للفاطميين مرة أخرى، ما جعل ممثل الخليفة العباسي أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدريمي إلى مغادرة المهدية والسفر إلى قلعة بني حماد حيث شارك في عدة غزوات إلى جانبه بلكين وهذا دليل على حسم علاقة الحماديين والعباسيين وبعض العبيديين.[5]

تعتبر الدولة الحمادية ثاني دولة مسلمة ظهرت في بلاد المغرب الأوسط وتمثل أول دولة بربرية مستقلة تحكم في العصر الوسيط.

أنشئت على يد مؤسس القلعة حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي ظهرت شخصية حماد بن بلكين وتألقت في عالم الحكم وميدان السياسة منذ سنة 378 هـ/997 م.[6]

عوامل نقل عاصمة الحماديين من القلعة إلى بجاية:

عد المؤرخون مرحلة بجاية في تاريخ الدولة الحمادية مرحلة التحضر والانفتاح والهدوء النسبي والاتساع حيث امتدت هناك زمنيا إلى سبعة وثمانون عاما قبل السقوط[1] ويعزى نقل العاصمة إلى بجاية إلى أسباب متعددة أوردها المؤرخون في أراء مختلفة.

---

[1] المصدر السابق، ص 230.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 299.

[3] الخضيري، المرجع السابق ص 79.

[4] ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات الجزائر، المغرب، موريطانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت، ص 37.

[5] بورويبة، المرجع السابق، ص 207.

[6] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1977، ص 36.

منها أن الناصر بن [2]علناس دخل في حرب مع أبناء عمومته الزيريين في موقعة سبيبة[3] غربي القيروان هزم إثرها الأمير الحمادي سنة 457 هـ/1164م، ونتيجة خيانة القبائل العربية له فكر في بناء بعد خراب القلعة الأولى.

فهناك من يرى أن بناء بجاية مرتبط بنقطة الصلح بين الأمير الحمادي الناصر وتميم بن المعز وخيانة رجل تميم (محمد بن البعبع) وتآمره معه ومساعدته لم في امتلاك ولاية .تميم مقترحا عليهما بناء بجاية في موقعها الذي مر به لتكون قريبة من إفريقية الزيرية.

الأمير الناصر كان يريد أن يطل على عالم البحر الأبيض المتوسط الذي ساقيه تفوق النورمان.[4]

إلا أن القلعة لم تفقد مكانتها العلمية بين سائر المدن الإسلامية آنذاك ولعل أصدق دليل على ذلك ما ورد من إشارات إلى بقاء بعض العلماء بها لمدة زمنية بلغت الأربعين سنة بعد تاريخ نقل العاصمة الحمادية إلى بجاية مما يدل على أن القلعة لم تفقد مكانتها العلمية. إلا بعد مرور مدة زمنية طويلة من تأسيس بجاية[5] والسبب في ذلك إقدام العائلة الحاكمة على تعزيز مكانة بجاية وخراب المدينة.[6]

وإلى جانب هذه المدن، كانت الجزائر وبني مزغنة تابعة للحماديين وهي قديمة البناء أزلية فيها آثار عجيبة[7]، ولقد تبعت الدولة الحمادية مراكز للتعليم تمثلت في المساجد التي كانت تؤدي دورا تعليميا من جهة ودورا تعبديا من جهة أخرى وكانت الزوايا تقوم بهذا الدور أيضا وإلى جانبها نجد الكتاب القرآني وهو عبارة عن مدرسة ابتدائية

---

[1]عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رابعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 99.

[2]**الناصر بن علناس**: أشهر ملوك الدولة الحمادية وأعظمهم شأنا وأعلاهم كعبا وأثبتهم في الملك كان يجتمع بجميع صفات المرؤ، كان أول من تولى الحكم مقيما بالقلعة وقام بأعمال جبارة في أيام حكمه، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 369.

[3]**موقعة سبيبة**: تقع بإفريقية وهي مدينة أولية ذات أنهار وثمار وفيها مزروعات كثيرة وقرى عامرة ومياهها سائمة تطحن عليها الأرحاء وكانت على نظر كبير أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 304.

[4]**النورمان**: تعود بداية الوجود الرومانى إلى جنوب إيطاليا حيث ساءت الأوضاع في تلك المنطقة حيث استطاعوا فيما بعد لم شملهم والتفاهم مع البابوية ليتحدوا على الحروب ضد المسلمين في صقلية. انظر: ممدوح حسن وشاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا، ص 134.

[5]بن الذيب وآخرون، المرجع السابق، ص 95.

[6]علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 114.

[7]عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة الجزائر، دط، ج2، 2007، ص 33.

يتعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة والحساب ويحفظون القرآن[1] ولقد تعدد العلماء في الدولة منهم علي بن معصوم القلعي وإبراهيم بن حماد أبو إسحاق القلعي وأحمد بن محمد بن أحمد المسيلي وعلي بن أبي بكر القلعي.[2]

لذلك كثرت العلوم النقلية كالفقه والتفسير وكذا الشعر ومنهم يوسف بن المبارك وأبو الطاهر عمارة. وفي الأدب نجد ابن رشيق وفي الفلسفة والعلوم الدينية وفي اللغة عبد الكريم النهشيلي وفي الطب علي بن طيب.[3]

العلاقات الثقافية والتجارية:

العلاقات مع المشرق:

عرفت الدولة الحمادية ازدهارا ثقافيا كبيرا تضافرت مجموعة من العوامل مكنت الدولة من أن توفر مناخ ثقافي يشجع على التطور الفكري والنهوض الحضاري، ولعل أهم هذه العوامل اهتمام القادة الموحدون بهذا الجانب وبدايتها كانت أشير التي احتلت موقعا مهما في المغرب الأوسط ومركز التقاء التيارات الفكرية والأدبية[4]، إلا أن القلعة التي أسسها حماد أصبحت عاصمة لدولته احتلت هي الأخرى مكانة حضارية عالية على وجه العموم إذ قامت بدور بالغ الأهمية في الميدان العلمي والثقافي على وجه الخصوص، وذلك منذ الأيام الأولى لنشأتها حتى أصبحت لا تقل أهمية عن القيروان والمهدية إذ اتخذت العربية لغة رسمية للدولة.[5]

ولقد عمل الأمراء الحماديون بشتى الوسائل لا في العاصمة فحسب بل أيضا بين القبائل إذ اشتهر حماد بتقريب العلماء والأدباء فمن البديهي أن يتواجد العديد من أهل العلم فهو بنفسه عالم أو أحد قدماء القيروان[6]. ولقد بقيت القلعة تؤدي رسالتها العلمية[7] حتى بعد أن أسس الناصر بجاية ورغم أن بجاية قد استقطبت النخب

[1] عمورة، المرجع السابق، ص 33.

[2] عبد الغني حروز، تراجم أبرز علماء قلعة بني حماد، دورية كان التاريخية، العدد الواحد والعشرون، سبتمبر، 2013، ص 126.

[3] بورويبة، المرجع السابق، ص 186.

[4] عيسى بن الذيب وآخرون، الحواضر والركائز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دط، الجزائر، 2007، ص 122.

[5] شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب، موريتانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص 36.

[6] محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 36.

[7] بن الذيب وآخرون، المرجع السابق، ص 123.

السياسية والعلمية لمدينة القلعة لتشكل ما يشبه قطب المغرب الأوسط المتحكم في المحيط الجغرافي والاقتصادي والثقافي الواسع.[1]

مع الفاطميين:

لقد استمدت العلاقات مع الدولة الفاطمية جذورها من قبيلة صنهاجة التي انحدرت منها الدولة الحمادية، فبعدما رحل الفاطميون إلى مصر سنة 361 هـ/972م [2]تركوا حكم المغرب لقبيلة صنهاجة[3]، ويرى ابن خلدون أنه بعد اختلال الاوضاع بين باديس وحماد وطلب باديس من حماد أن يسلمه تيجس وقسنطينة لولده المعز لما قلده الحاكم ولاية عهد ابنه فأبى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة وأظهر السنة ورضى عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع دعوة آل عباس وذلك سنة خمس وأربعمائة[4]. وبذلك سبق الزيريين في هذه القضية ثلاثين سنة[5]. وبهذا العمل ألغى المذهب الشيعي ليخلفه مذهب أهل السنة. وانقطعت بذلك الشيعة وانتشر المذهب المالكي في جميع طبقات الشعب وبعبارة أخرى يمكن القول أن حماد كان أول من أعلن انفصاله السياسي والروحي عن الخلافة الفاطمية في مصر وأنه سبق المعز بن باديس[6] حيث شق العصا على الخليفة المستنصر[7] ونجد أن حماد بعد استقلاله نقل من بعصمته من الشيعة.[8]

أما في عهد يحي بن العزيز فقد حرص على قطع العلاقات مع الفاطميين إذ استحدث السكة ولم يحدثها أحد من قومه أدبا مع خلفائهم العبيديين، ونقل ابن حماد سكته في الدينار وكانت ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه[9]. ولقد ضرب هذا الدينار سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة في سطوره الإمام عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي وهذا دليل على إعلان ولائه للأمراء العباسيين وتخليه عن المذهب الشيعي العبيدي.[10]

[1] علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2008م، ص 114.
[2] ابن خلدون، العبر، الجزء السادس، ص 20.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 45.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 229.
[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 39.
[6] أحمد حسن الخضيري، علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مديولي، ط1، دت، مصر، ص 76.
[7] المصدر نفسه، ص 240.
[8] صالح بن قرية، المسكوكات المغربية بين الفتح الإسلامي إلى سقوط بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت، الجزائر، ص 505.
[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 235.
[10] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 235.

إن المقاربة على وجه العموم لم يتشربوا عقائد الفاطميين ويبدوا أن الخروج على الفاطميين كان الشعار الذي يرفعه كل ثائر في بلاد المغرب الأوسط ليزيد في نفسه استقطاب الجماهير والحصول على ولائها وذلك لأن هذا الخروج يرضي المغاربة ويتمتع مع ميولهم والشاهد على ذلك خروج المعز بن باديس عن الفاطميين.[1]

لقد كانت علاقة الفاطميين بالحماديين سياسة تستغل وفق الظروف ولم يكن ثمة ولاء حقيقي يشعر به الحماديون[2]، فلما أقاموا جسور اتصال معهم كان هدفهم المحافظة على إمارتهم من بني هلال.[3]

ويبدو أن الفاطميين لم يفقدوا الأمل في عودة المغرب إلى حضيرتهم، فمع اقناعهم برفض المغرب لهم ولأرائهم كانوا يسارعون عند أية باردة.[4]

وأيضا ما قام به المهدي من إرساله لحملات متعددة ابتداء من سنة (301هـ/914م)[5] كانت كلها ذات وجهة شرقية، غير أن القفزة النوعية نفذها رابع الأئمة الفاطميين المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/952م-975م)[6] الذي ينسب نقل مقر مملكتهم من المهدية بإفريقية إلى العاصمة الجديدة التي خلد بها اسمه قاهر المعز، حيث دخلها في موكب مهيب باعتباره انجازا أو فتحا عد في نظر المؤرخين الخطوة الثابتة وما قبل الأخيرة لتحقيق الحلم المنشود.

وأيضا الحركة الجديدة التي بثها المعز لدين الله الفاطمي[7] في نفوس الكتاميين الذي تأثروا بأحداث سابقة أدت إلى تهميش دورهم وهم ومالكهم من مكانة السيق في الدعوة والتمكين لها، في وقت كانت فيه الدولة في أمس الحاجة إلى سند يدعمها ويرعاها بفعل الاختلال الذي ظهر في طبيعة العلاقة بين الكتاميين والسلطة الفاطمية الجديدة

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 167.

[2] عويس، المرجع السابق، ص 169.

[3] مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، دط، مصر، 1999، ص 227.

[4] عويس، المرجع السابق، ص 169.

[5] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 104.

[6] **المعز لدين الله الفاطمي**: ثاني شخصية بعد عبيد الله من كبار رجال عصره، قلق أقرانه ومنافسيه علما وسياسة، عاش في المهدية والمنصورة، تولى السلطة وعمره لا يتجاوز 22 سنة، عاش في المهدية والمنصورية، بلغت الدولة في عهده أوج اتساعها، انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 395.

[7] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تحقيق الجيب الحنفي وآخرون، بيروت دار المنتظر، 1996، ص 311.

نتيجة لما أعقب حادثة تصفية الداعي أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبي العباس وأنصارهم من قادة كتامة أمثال القربيين أبوزالي وماكنون إلى جانب عدد كبير من أنصارها سنة (302هـ/914م).[1]

متعمدا بالعمل على ترجيح الكفة لفائدتهم وإعادة وضع كتامة إلى ما كانت عليه في سيرتها الأولى، مظهرا إياها في الترتيب القبلي تليها صنهاجة وغيرها من القبائل وقد كفل وزيره جوهر[2] الصقلي في التمديد بمشروع ضم مصر والشام مرتكزا على رجال كتام[3]ة في تحقيق ذلك إدراكا منه بوفائهم للدعوة الإسماعيلية.

العلاقات الثقافية:

مع الفاطميين: تظهر العلاقات الحمادية مع الفاطميين في البداية بالرفض إذ أنه عندما تولى حماد قام يقتل الرافضة وأظهر السنة ونبذ طاعة العبيديين جملة[4]. وبهذا نرى أن العلاقات الأولى كانت علاقات دينية مذهبية[5]، لهذا فإن العلاقات الثقافية الفاطمية الحمادية لم تكن متصلة إلا نادرا نظرا للاختلاف المذهبي والشيعي الاسماعيلي والمذهب المالكي[6]، رغم أن الفاطميون في مصر عملوا على نشر الثقافة العلمية والأدبية[7] فالأدب ازدهر ازدهارا كبيرا منذ تواجدهم في المغرب الأوسط. ولقد استمر ذلك فيما بعد لأنه كان يمثل صورة نابعة من الذات المغربية[8] فضلا عن الثقافة المذهبية التي تتصل بدعوة الاسماعيلية كالفقه والتفسير ولقد كان للجامع الأزهر أثر بالغ في نمو نهوض الحياة بمصر حتى أصبحت مركز الإشعاع الفكري والثقافي.[9]

---

[1] نفسه، ص 176.

[2] **جوهر الصقلي**: هو القائد الذي أشرف على فتح مصر وبناء مدينة القاهرة ومسجدها، هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله من مسلمي جزيرة صقلية، انظر: المقريزي، ج1، ص 337.

[3] موس لقبال، دور كتامة، ص 23-24.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 228.

[5] مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف الاسكندرية، 1999، ص 190.

[6] هويس، المرجع السابق، ص 178.

[7] الغنيمي، المرجع السابق، ص 371.

[8] بشير رمضان الكليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي، ط1، طرابلس، 2003، ص 399.

[9] محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1999، ص 154.

بالرغم من هذا لم تشهد العلاقات الثقافية الحمادية الفاطمية أدنى نمو وازدهار إلا أن ذلك لم يمنع تنقل العلماء والطلاب الذين كانوا يدرسون العلوم الدنياوية مثل الطب والفلك والكيمياء، غير أننا نجد المغاربة هاجروا إلى مصر بهدف تأدية مناسك الحج أو طلب العلم والتعمق فيه ولم يقتصر حضورهم على التلقي والأخذ فقد بل كانوا يتداولون على المجالس والحلقات العلمية لتبليغ ما عندهم من العلوم والمعارف ومنهم محمد بن عبد الله بن زكرياء وأيضا أبو الحسن بن اليدوخ الذي كان طبيبا.[1]

حاجة الفاطميين إلى المغاربة والكتاميين في تحقيق الأهداف النهائية للدعوة الإسماعيلية التي اعتبرت بلاد المغرب منطلقا لتحصيل واسترجاع الحق الضائع بالنسبة لهم[2]، ولتحقيق هذه الأهداف وافق الكتاميون المعز لدين الله في رحلته إلى مصر واستقر بها ابتداء من سنة (361هـ/972م) حيث أقطعهم أملاكا واسعا هناك وقربهم منه وعوضهم عما فاتهم.[3]

حركة التشيع في المغرب لم تأت صدفة ولا من فراغ، ولم يكن مخططا لها من مراكز القوة والنفوذ في المشرق بل ثمة بذور زرعت فآنت أكلها، وأسباب وعوامل مهدت لها الانتشار التي انطلقت منها الدعوة في مراحلها السرية، اعتبارا من قرب المنطقتين من مركز الخلافة واعتبارا لدورها المتمثل في أهل السنة الإيجابي، والدور الذي قام به المعز لدين الله الفاطمي الذي أعطى روحا جديدة للدولة الفاطمية.[4]

الحماديون في القلعة:

بينما كان المعز بن باديس يسعى لتحقيق الأمان، كان حماد يعمل هو الآخر لتوطيد أركان دولته الفنية وإعلاء شأنها، إذ اتخذ أشير عاصمة ولكن تبادر إلى فكره أن يؤسس عاصمة جديدة ورغم أن أشير[5] لعبت دورا تاريخيا كبيرا إلا أن هذا الدور تراجع فيما بعد حيث اختط حماد قلعته سنة 387 هـ.[6]

---

[1] الطمار، المرجع السابق، ص 162.

[2] موس لقبال، المرجع السابق، ص 226.

[3] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص 169-170.

[4] المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ص 145.

[5] **أشير**: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي، مقابل بجاية في البر، كان أول من عبرها زيري بن مناد الصنهاجي، وكان سيد هذه القبيلة في أيامه وهو جد المعز بن باديس وملوك إفريقية بعد خروج الملقب بالمعز منها- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، دط، مج1، بيروت، 1977، ص 202.

[6] الطمار، المرجع السابق، ص 92.

لقد بنيت القلعة على منحدر وعر فوق سفوح جبال تكربوست على الحدود الشمالية وعلى مسافة قريبة من المسيلة وتميزت القلعة بمزايا استراتيجية كبيرة أكثر من عاصمة الزيريين لأن حماد سارع إلى تحصينها إضافة إلى أنها ازدهرت وأصبحت زاخرة بالفنادق والمساجد ورحل إليها من العثور والقاصية والبلاد البعيدة أرباب الصناعة والتجارة وأصبحت قبله لطلب العلم.[1]

ويصفها الإدريسي "...مدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغرزها خيرا وأوسعها قصورا ومساكنا...وهي في سند جبل سامي العلو صعب الارتفاع ويسمى تكربوست وأعلى هذا الجيل متصل يبسط من الأرض"، ويقول أيضا: "أن القلعة دار ملك بني حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخرة وجميع أموالهم مختزنة ودار أسلحتهم والحنطة تخزن بها فتبقى والعامين لا يدخلها الفساد.[2]

كما وصفها صاحب الاستبصار بأنها "مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم حصنة منيعة، وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة وهم كانوا ملوك إفريقية، أما البكري فسماها بقلعة أبي الطويل.[3]

علاقة الحماديين السياسية بالخارج.

مع زناتة:

ترجع العلاقة الزناتية مع الحماديين إلى عهد بلكين محمد، إلا أننا يجب أن نعلم أنه منذ قيام الدولة الفاطمية في إفريقية واصطناعها الكتامين أنصارا، كان من الطبيعي أن تصبح زناتة في البلاد خصوصا لدولة[4]، وهذا ما أدى إلى تفاقم الفتن والخصام، وهو ما أدى إلى نهوض وتحري بن مناد الصنهاجي للقضاء على ثورة صاحب الحمار، وبهذا ظل الصراع قائم بعدها في عهد بلكين والمنصور الذي استعان بأخيه حماد وعينه على أشير، الذي سيبرزت.

[1] نفسه، ص 192.

[2] الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ط1، القاهرة، 2010، ص 261.

[3] أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، ص 59.

[4] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبني زيري والصنهاجيون إلةى قيام دولة المرابطين، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، دت، ج3، ص 340.

في الحرب مع زناتة[1]، خاصة بعد استقل بأشير وبدأ في بناء القلعة في عهد باديس، إذ تصدى لغزواتهم وقضى عليها وبذلك بدأ في التفكير بتأسيس دولة مستقلة عن أبناء أخيه، وستكون زناتة العدو الذي ستستمر معه الحروب بعد ذلك[2]، وبداية هذه العلاقة تكون مع حماد حيث بانفصال حماد عن باديس أدركت زناتة خطورته فلم .تفتا تثير. الفتن كلما وجدت قدرة على مفاجئة بني حماد ولم تظفر بهم لأن الوضعية التي كانت فيها دولتهم جعلتهم أيقاظا دائمة مع الحرب فنمت فيهم روح حربية عنيفة انهكت بني حماد لفترة لم تستطع فيها أن تقف على قدميها.[3]

إلا أن قدرة حماد على تأمين حدود الدولة الصنهاجية من ناحية الغرب أثر في تثبيت سلطانه في المغرب الأوسط واستمرت العلامات مع زناتة متوترة في عهد القائد بن حماد إذ دخل في طور المشاكل الخارجية منذ سنة 430 هـ، ففي هذه السنة تحرك إلى حرب حمامة بن زيري المغراوي.[4]

بعد أن استمال بعض زناتة إليه[5] ولما أحس بذلك حمامة بن زيري يرى صالح القائد ودخل في طاعته ورجع إلى فاس خائبا، ورغم دخول حمامة في طاعة القائد إلا أنه هاجم غرب المغرب الأوسط وقد اشتبك معاقي حروب عنيفة لم تسفر عن هزيمة أحدهما وقتل من زناتة وأقر من الناس[6] ومن خلال النتيجة التي أحرزها القائد أحس بقوة دولته، كما أنه أحس بضعف دولة المعز بن باديس[7]، أما بلكين بن حماد فقد واصل عدم اهتمامه بزناتة إلا بعد ثلاث سنوات[8] من توليه الأمر، ففي سنة 450 هـ/1058م خرج بلكين إلى إقليم الزاب[9] للقضاء على جعفر

[1] **زناتة**: جيل قديم المعروف العين والأثر آخذون من شعائر العرب في سكن الخيام وركوب الخيل وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطقون بها ومواطنهم في سائر مواطن إفريقية والمغرب (انظر، ابن خلدون، العبر، ج7، ص 4).

[2] عويس عبد الحليم، دولة بني حماد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991، ص 110.

[3] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص 106.

[4] عويس عبد الحليم، المرجع السابق، ص 61.

[5] حمامة بن زيري المغراوي أمير مدينة فاس مملكة مغراوة (لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، وتحقيق وقع أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، النشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1964، ص 88.

[6] عويس، المرجع السابق، ص 115.

[7] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط1، 1994، ج1، ص 115.

[8] عويس، المرجع السابق، ص 121.

[9] نفسه، ص 121.

بن أبي رمان إذ قتله وهزم زناتة حيث قتل عدد كبير منها بالإضافة إلى الحملة العسكرية التي خرج بها بلكين ومعه الأثبج[1] لحرب زناتة فكسرها وأيضا قتل العديد من الزناتين.

وتظهر العلاقات أيضا في عهد الناصر حيث نجد أن المواجهات بدأت في إقليم الزاب من الناحية الشرقية، لأن الثورة كانت قد استفحلت بني جعفر فسير إليها خلف بن أبي حيدرة وزيره وقد استطاع السيطرة عليها، ثم واجه ثورة أخرى إذ خرج عليه بن ركان بمعونة إخوانه عجيسة. في حملة بالمسيلة فاستولى عليها.

مع بني زيري: إن العلاقات الحمادية الزيرية خضعت للأحقاد والأطماع المتوارثة التي أثارت في نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من اولادهم يرثه صغير عن كبير[2]، وكانت معركة شلف بداية ذلك الصراع إذ أن حماد كان يرغب في الانفصال عن الدولة الأم وأنه أحق من باديس[3] وبوصول حماد إلى هدفه استغل ظروف الدولة الزيرية التي كانت بحاجة إليه للقضاء على زناتة بعد أن اشترط عليهم ما شاء وجعل له كل ما يفتحه[4] غير أن الأمير الزيري، وعلى اثر الوشاية التي قامت بها بطان باديس ومن إليه من الأعاجم والقرابة [5]فضل باديس طلب من حماد التنازل عن مدينته بتحيس وقسنطينة لصالح ولي عهده المنصور[6]، فرفض حماد واستطاع فيما بعد أن يكون له كيان مستقل له ولأولاده من بعده وهذا ما أدى إلى صراعات وحروب عديدة ببن حماد وباديس[7]، لكن هذه الصراعات انتهت وثبت سلطان بني حماد في عهد المعز.[8] الذي اعترف بالدولة الحمادية كدولة مستقلة عن الدولة الزيرية وهذا بعد اتفاق الصلح خاصة بعد تزويج حماد ابنه عبد الله بأخت المعز.[9]

---

[1] **الإثبج**: هم من الهلاليين أفر عددا وأكثر يطونا وكان اتقدم لهم في جملتهم، هم من حملة الهلاليين الداخليين لإفريقية وكانت مواطنهم حيال جبل الأوراس (انظر الحمدي، المصدر السابق، ج6، ص 31).

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 101.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 228.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 83.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 228.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 261.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 229.

[8] عويس، المرجع السابق، ص 112.

[9] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، المركز الوطني للدراسات التاريخية الجزائر، دط، 1977، ص 204..

ثانيا: القبائل الصنهاجية.

– أصل صنهاجة: ينتسب الصنهاجيون إلى ولد صنهاج وأصل كلمة هناك بالصاد المشممة والكاف القريبة من الجيم فلما عربتها العرب زادت الهاء بين النون والألف فصارت كلمة صنهاج ثم أضافوا لها تاء الجمع فتحولت إلى صنهاجة[1] وقد اختلف النسابة والمؤرخون والباحثون في ضبط النطق الصحيح لهذه القبيلة فابن دريد يذكر أنها تنطق بالضم (صنهاجة) أما ابن خليكان وليفي بروفنسال فيرجحان نطقها بالكسر (صنهاجة) في يؤكد ابن الأثير السمعاني على أنها تنطق بالضم كما بالكسر وعلى عكس الطروحات الأولى ألح القلقشندي على أن النطق الصحيح لهذه القبيلة هو (صنهاجة) بفتح الصاد المهملة.[2]

وتعتبر من أكثر قبائل البربر وهم أكثر أهل المغرب الإسلامي لهذا العهد وما بعده، لا يكاد موضوع من المواضيع المغرب يخلو من بطن من بطونهم وإنهم ينتسبون إلى صنهاج بن عاميل بن زعزاع بين قيمنا بن مولاي بن مصليين بن يبرين بن مكيلة بن دقيوس بن حلحال بن سنرو بن مصرايم بن حام.[3]

ولقد اختلف النسابون والمؤرخون في إرجاع النسب الصحيح إلى صنهاجة فمنهم من يرجعه إلى أصل بربري، كما فعل ابن خلدون وهناك من يرجعها إلى أصل عربي فهم قد قسموا قبائل العرب إلى فرعين عرب الشمال العدنانيون نسبة إلى عدنان اسماعيل عليه السلام، وعرب الجنوب القحطانيون نسبة إلى قحطان بن عابر فهم يؤكدون على أن صنهاجة من العرب القحطانية، وذلك لأن أحقاد بن افريقش بن وائل، خرج غازيا إلى بلاد المغرب، ولم توغل فيها اختط إفريقية المنسوبة إليه وحلف عليها قبائل من حمير وزعمائها صنهاجة وكتامة، ليردوا البربر على شاكلتهم ويأخذوا أخراجهم ويدبروا امرهم[4]، ويقول ابن حزم في هذا الشأن قال قوم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وادعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير وبعضهم إلى برقس بن عيلان وهذا باطل لاشك فيه، وما علم النسابون لقيس بن عيلن، ولا كان لحمبر طريق إلى بلاد المغرب[5]، وبهذا الرأي الراجح هو أن صنهاجة من أصل بربري لا عربي.

[1] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص 152.

[2] أبي العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار صادر بيروت، 1915، ج5، ص 352.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 201.

[4] رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2006/2005م، ص 31.

[5] ابن حزم، جمهرة الأنساب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار ، مصر 1982، ص 495.

وينقسم الصنهاجيون حسب مواطنهم ونظام حياتهم، إلى فئتين عظيمتين وهما صنهاجة الشمال سكان التلول والجبال ومن أهم قبائلهم تلكاتة ويسكنون ببيوت الطين والحجر، وصنهاجة الجنوب سكان الصحراء وأعظم قبائلهم هي لمنوفة ومسوفة وكدالة وتمتد مواطنهم جنوب الصحراء الكبرى وحتى بلاد السودان[1]، ومواطنها بالتحديد إلى غرب كتامة في المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب بجاية إلى مدينة الجزائر ويسمى الفرنسيون هذه المنطقة بالقبائل الكبرى.

كما سكنت بعض فروعها جبل قلعة بني حماد[2]، وإلى جانب بلاد الجزائر حاليا استوطنت جماعة كبيرة من صنهاجة جبال الأطلس الوسطى في بلاد المغرب الأقصى.

وكان الملك فيهم في طبقتين مسوفة ولمتونة من الملثمين من ملوك المغرب الأقصى المسمون بالمرابطين[3] وأما صنهاجة الذين ملكوا في إفريقية والمغرب الأوسط تلكاتة بنو تلكات بن كرت بن صنهاج الأكبر.

– بطون قبيلة صنهاجة:

تعد قبيلة صنهاجة من أقدم قبائل بلاد المغرب ويذكر بعض الجغرافيين أن اسمها اقترن بقبيلة أخرى وهي من أوفرها عددا وأكثر سعة وانتشارا في كامل سهول وجبال وتلول وحتى أقاصي بلاد المغرب حتى زعم البعض أنها تمثل ثلث البربر، وتضم صنهاجة بطونا كثيرة وادعى بعضهم أنها تراهق سبعين بطنا منتشرين أوزاعا في كامل المنطقة.[4]

وسنحاول من خلال الدراسة أن نلقي نظرة شاملة على أهمها حسب ما أوردته المصادر التاريخية وكتب الجغرافيا والرحلة.

أ. **تلكاتة:** أكبر بطون صنهاجة من ولد تلكات بن كرت وكانت لهم الزعامة على سائر بطون

[1] بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص 656.

[2] **قلعة بني حماد:** لما تولى حماد حكم المغرب الأوسط أذن لباديس بتأسيس قلعة بني حماد سنة 400 هـ/1009م ووالتي سميت أيضا قلعة أبي الطويل وتقع على مسافة 36 كلم شمال شرقي المسيلة وأنزل بها حماد قبائل حرارة وأسكنهم بها وأصبحت بذلك حصن الحماديين بالمغرب الأوسط.
– رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977م، الجزائر، ص 20.

[3] **المرابطين:** من قبائل البربر الرحل كانوا يعرفون باسم صنهاجة الملثمين وكان اسلامهم .... وكان ملكيا مذهبهم واستطاعوا تأسيس دولة قوية في مراكش، أنظر عباس جراري دولة مرابطين مجلة بحوث نصف سنوية، المغرب، العدد 2، 1986م، ص ص 1-2.

[4] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، ج3، مصر، ص ص322-323.

صنهاجة الشمال كما للمتونة سلطة على سائر فروع الملثمين ولعل أعظم فروع تلكاتة بنو مناد بن منفوش، ويذكر التويري أنهم وفدوا على المنطقة بعد أن هزم ملوك حمير أمام الأحباش بتحفيز من كاهن أخبرهم بأنه سوف يدرك ولدهم ملكا عظيما فاختاروا المغرب الأوسط وإفريقية مستقرا لهم وإلى تلكاتة آل ملك الفاطميين ببلاد المغرب بعد رحيلهم إلى مصر ثم انشطروا إلى ثلاث إمارات الإمارة البربرية بإفريقية وشرق المغرب الأوسط وعاصمتها القيروان ومن أشهر أمرائها: بلكين بن زيري مؤسس الدولة، والمنصور ابن بلكين والمعز بن باديس الذي أبدى مهارة كبيرة في تسيير شؤون دولته.[1]

والدولة الحمادية بالمغرب الأوسط وعاصمتها أشير ثم القلعة فبجاية الناصرية، وعلى عهدها عادت تلكانة إلى حاضره المذهب السني تحت لواء العباسيين وسقطت على يد الموحدين.

ب. مزغنة[2]: تعتبر إحدى البطون المندمجة في قبيلة بني سليمان الشراقة تحتفظ بنفس الاسم القديم

للقبيلة وتنشر بقاياها اليوم على العدوى اليمنى وادي يسر على بعد 30 كلم من مدينة الأربعاء غربي العاصمة.

وإلى المدينة التي عمرتها قبيلة مزغنة تنسب كثيرا من أعلام الفكر والفقه والأدب ومنهم الحافظ عثمان بن سليمان الجزائري المتوفى سنة 825هـ/1421م الذي كان متضلعا في الفقه.

ج. بجاية[3]: من بجاية ينحدر بطن بني وركابل الضاربين بالقرب من "ملالة" الموضع الذي التقى فيه

المهدي محمد آيت تومرت عبد المؤمن بن علي الكومي وبها اتفقا معا على مباشرة الدعوة الموحدية التي تبنت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[4]

---

[1] بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص 156.

[2] **مزغنة**: عرفت لدى بعض الرحالة والجغرافيين "مزغنى" أو "مزغناي" أو "مزغنا" أو "مزغنان"، وهي من أشهر بطون صنهاجة بالمغرب الأوسط، تمتد أراضيها من غربي حمزة إلى غرب الجزائر قبل تأسيسها والتي اقترن اسمها فيم بعد بهذه القبيلة "جزائريين مزغنة" أنظر لمعاني أخرى لمزغنة، ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77.

[3] **بجاية**: بكسر الميم، اسم قبيلة صنهاجية مضاربها الأصلية بالمناطق الجبلية الواقعة غرب واد الصومام، انظر ابن خلدون، العبر، ج6، ص 156.

[4] أبي بكر علي البيذق الصنهاجي، كتاب أخيار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 52.

علاقة صنهاجة المغرب الأوسط بـ:

قبيلة كتامة: لعبت قبيلة كتامة دورا كبيرا في نصرة الحركة الاسماعيلية وترسيخ أفكارها ببلاد المغرب وتجسيد مبادئها ميدانيا وشكلت العصب العسكري للدعوة الفاطمية التي خرجت إلى النور بفضل جهودها تضحياتها الجسام بفضل هذه المنجزات الضخمة تبوأت قبيلة كتامة مكانة مرموقة لدى الفاطميين وفي هذه الأثناء ظهرت قبيلة صنهاجة التي ما فئت تتدعم مكانتها شيئا فشيئا في كشف الفاطميين.[1]

وتعزز مركزها بمرور الوقت حتى أضحت تضاهي كتامة رفعة.

في الواقع أن النصوص التاريخية التي بين أيدينا لا تشير إلى توتر العلاقة بين الكتاميين والصنهاجيين طيلة الوجود الفاطمي ببلاد المغرب إلا في مواطن نادرة ولعل ذل يرجع إلى:

– سياسة الخلافة الفاطمية اتجاه القبيلتين إذ أوكلت لكل منهما مهمة منفصلة عن الأخرى أدت إلى استحالة اصطدامهما زيادة على أن إنصواعها تحت لواء المذهب الشيعي الإسماعيلي أسقط كل الثغرات القبلية وتحول الولاء فيه من القبيلة إلى المذهب.[2]

– انشغال كل طرف بأداء المهام المنوطة به وبتدعيم مركزه لدى الخلافة لينال أكبر قدر من العناية والامتيازات.

– حسن تحسين الفرص من قادة كل القبيلتين الذين رأوا الشيعة الاسماعيلية خير وسيلة للخروج من قوقعتهم وإيجاد مكانة مرموقة على الساحة المغربية خاصة أن الفرصة لم تتح لهم من قبل على الرغم من امتلاكهم لكل المؤهلات التي من شأنها أن تجعل من هذين الفرعين على رأس القبائل المغربية وهو ما تجسد فعلا إذ اصبحت قبيلة صنهاجة في ظرف وجيز سيدة على بلاد المغرب ومن ثم دلائل علاقات الود التي كانت سائدة بين كتامة وصنهاجة محاربة الطرفين جنبا إلى جنب في معارك كثيرة أبديا خلالها انسجاما كبيرا، ومن ذلك خروج **جوهر الصقلي** إلى المغرب الأقصى سنة 347هـ /958م على رأس جيش من الكتاميين والصنهاجيين حقق نجاحات باهرة.[3]

[1] السلاوي، أبي العباس أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب ج1، 1954، ص 81.

[2] السلاوي، الاستقصاء، المصدر السابق، ج1، ص 83. 1

[3] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، د د، د ب، د ط، د ت، ص 91.

ولعل هذا الانسجام الكبير الذي ظهر على الحلق الصنهاجي الكتامي مرده إلى التشابه الكبير في نمط المعيشة ما سهل التلاحم بين أفرادها ومدى الوعي الذي بلغناه إذ أثرنا مصالح المذهب على المصالح الشخصية التي ستأتي بمرور الوقت وما يؤكد العلاقات الطيبة بين القبيلتين عدم احتجاج الكتاميين على المعز لدين الله الفاطمي الذي اختار بلكين بن زيري الصنهاجي وقبيلته ليخلفه على بلاد المغرب بعد رحيله إلى مصر على الرغم من أنهم أول ما ناصر الدعوة الإسماعيلية وعلى كاهلهم قامت دولته.

قبيلة زناتة: اتسمت العلاقات الصنهاجية الزناتية طوال فترة الوجود الفاطمي ببلاد المغرب بالعداء والتوتر في إطار سلسلة الصراع التقليدي بين البدو والبتر والبرانس الحضر، بحكم الاختلاف في نمط المعيشة وتجاور مجالهما الجغرافي الذي شغلانه، وزاد من احترام الصراع تحالف زناتة مع أمويي الأندلس ضد الفاطميين حلفاء صنهاجة.[1]

وتمتد الجذور الأولى للصراع الصنهاجي الزناتي على عهد الفاطميين إلى المرحلة التي كان فيها زيري بن مناد يجمع قواه وينظم صفوف قبيلته التي رفض بعض بطونها الخضوع لسلطته وتحالفوا مع زناتة لحربه. [2]

صنهاجة وثورات الخوارج:

يرجع بعض الباحثين المعاصرين أن تدخل صنهاجة في بلاد المغرب تعود جذوره إلى أوائل القرن الثاني هجري/منتصف الثامن ميلادي بشهادة العثور على اسم مصال بن حماد والي ميلة منقوشا على مثقال من زجاج يعود إلى سنة 127هـ/745م[3]، إلا أن اسم مصال الذي كان شائعا بين الصنهاجيين لا يعد مبررا كافيا للاستدلال على أن ولاية ميلة كانت تحت النفوذ الصنهاجي، كما أن هذا الاسم لا يكتسي صيغة صنهاجية خالصة على غرار مصالة بن حبوس المكناسي، على الرغم من أن إشارة ابن خلدون[4] إلى الثورة التي تزعمها ثابت بن ورزيدون في أوائل عهد الخليفة العباسي أبي العباس السفاح (132هـ - 750م/136هـ- 754م).

[1] مؤلف مجهول، تاريخ البربر، تحقيق وتعليق محمد زينهم، دار الجهاد للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص 129.
[2] شهاب أحمد بن عبد الوهاب النوبري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة ، د.ب، دط، دت، ج1، ص 302.
[3] روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص 33.
[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 153.

عوامل التقارب الصنهاجي الفاطمي:

في الوقت الذي تمكنت فيه الخلافة الفاطمية من بسط نفوذها على مناطق واسعة من بلاد المغرب بدأت قوة صنهاجة تتنامى في المنطقة، وأضحت تشكل كتلة لها وزن كبير في تفاعل الأحداث، واستطاعت بفضل تنظيمها المحكم وذيوع صيت انتصاراتها أن تلفت أنظار الفاطميين إليها لاسيما في ظل صراعهم مع أموي الاندلس.

وقد كان جذور التحالف الصنهاجي الفاطمي يمتد إلى مرحلة الدعوة، إلا أن احتدام.الصراع السني الشيعي في المنطقة عجل بخروج هذا التحالف إلى النور له دور بارز في جسم التنافس على الجهة الغربية لبلاد المغرب وساهمت عدة عوامل في دعم التحالف منها:

– وجود عدو مشترك للطرفين متمثلا في زناتة إذ أن الصراع بين الصنهاجيين والزناتيين قديم ويندرج ضمن الصراع التقليدي.

– سعى صنهاجة للعب دور فاعل في المعترك السياسي والعسكري وحتى الاقتصادي في المغرب.

– حاجة الفاطميين المستمرة للصنهاجيين بما يمثلونه من ثقل عسكري واقتصادي لتثبت أقدامهم في بلاد المغرب.[1]

لقد بدأت قبائل صنهاجة في الهجرة من الصحراء ابتداء من القرن 9م، كاتجاه الشمال لأسباب مختلفة كما تذكر الروايا، فاستقروا بجبال الريف، وفي شرق الجزائر (كتامة) وجبال الأطلس ولعبوا دورا هاما في وصول الفاطميين إلى السلطة وسلالات صنهاجة مثل الزيريين والحماديون الذين حكموا في افريقية حتى القرن 12 م.

مع غزو بني هلال إفريقيا في القرن 11 م، استعربت بعض قبائل صنهاجة تدريجيا، ولم يسلم من هذا التعريب صنهاجة الريف التي تعربت فيها أقلب القبائل الصنهاجية "كصنهاجة غدو" و"صنهاجة مصباح" المتواجدين بتازة وتاونات.

وتعتبر صنهاجة أسراير القبيلة الوحيدة التي لا تزال تتكلم الأمازيغية شمال المغرب رغم وجود مناطق فيها تعربت تماما وهي تمتد من تاركيست شمال إلى نهر صرا جنوبا، ومن آيت مزودي شرقا إلى كتامة غربا، وتعتبر مدينة

[1] رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80 هـ – 699م/ 362هـ – 973م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005–2006م، ص ص 81–82.

تاركيست التي تبعد 70 كلم من الحسيمة، حاضرة القبيلة وقد كان لها دور فعال في حرب الريف إلى جانب الأمير المجاهد الأمير المجاهد عبد الكريم الخطابي ضد الاستعمار الاسباني.[1]

الصراع بين الاموية والعلوية وموقف صنهاجة منه

وقف البربر في طريق الفاتحين العرب لشمال إفريقية، وحاولوا كلهم صدهم إلا صنهاجة فإنهم لم يحركوا ساكنا، إلا أنهم في القرن الثالث هجري (التاسع ميلادي) أخذوا يظهرون على مسرح التأريخ حيث برزت على رأسهم شخصية تتمثل في مناد بن منقوش بن صنهاج، وكان مواليا للعباسيين وخاضعا للدولة الأغلبية الحاكمة بإفريقية وشرق الجزائر الحالية باسم هؤلاء ومناد هذا كان كبيرا في قومه، كثير المال والولد حسن الضيافة لمن يمر به.[2]

وقد حدث حادث خطير غير مجرى التاريخ اضطربت له البلاد ألا وهو ذلك الصراع بين الأموية والعلوية، وكان لكليهما أولياء مناصرون، يعزو بعضهم هذا الصراع للعداوة المنيمة بين العلويين والأمويين ويرى البعض الآخر أن العقائد هي محور دعوة كل من الفريقين وما العواطف والعقائد لم تكن في الحقيقة إلا وسيلة لتقوية عدد المشايعين وبسط النفوذ.

ثالثا: القبائل ذات الأصل البربري.

الطبقة الأولى: وهم البتر وجدهم حسب ابن خلدون مادغيس أوما ذغيس الأبتر من نسل برين قيس بن عيلان، والذين يعتمدون على حياة الترحال والبداوة، وكأنهم يعيشون من ألبان الإبل ولحومها متتجعين بمنابت الكلأ مرتادين لموائع القطر فيخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعي ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه فلا يزالون في حل وترحال...

وكان ذلك دأبهم زمان الصيف الربيع، فإذا جاء الشتاء واقشعرت الأرض انكمشوا إلى ديارهم[3]، وكانت ديارهم السلسلة التلية أو السباسب والمناطق الصحراوية كلواتة ونفوسة، ونفراوة ومكناسة وزناتة وغيرها.

[1] عماد أدرداك، صنهاجة التاريخ المنسي، مجلة تبدغين للأبحاث الأمازيغية والتنمية، العدد 1، 2013م.
[2] محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دب، 2010م، ص 21.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 158-159.

الطبقة الثانية: البرانس وأصلهم بتر حسب ابن خلدون، وجدهم أوريغ بن برنس من نسل مازيغ بن كنعان، كانوا معتمدين على نظام حياة الاستقرار بالحواضر والقرى والعيش على الأنشطة الزراعية وتربية الماشية والتجارة، وسكنوا المناطق التلية الشمالية والمرتفعات الأطلسية وبإفريقية وأهمها أوربة وأوربغة وكتامة وزواوة وصنهاجة وهوارة ومصمودة وأزداجة ومسطاسة وعجيسية وهكسورة وكزولة وسدويكش وبني ثابت من بطون كتامة[1]، والملاحظ أن هوارة[2] وبعض القبائل الأخرى كان من بطونها من يعيش حياة الترحال والأخرى مستقرة لذلك اعتبرت بترية ومن البرانس وعلى هذا الأساس اعتبر الأستاذ محمد حسن أن هذا التقسيم غير ثابت خاصة وأن ابن خلدون لم يعاصر مجمل الأخبار التي أرخ لها، ومزج بين الأسطورة والواقع واعتبر أن التقسيم احتو على الكثير من الجوانب الخيالية والمخلة، إذ أنه ذكر صنهاجة ضمن البرانس لكنها في الحقيقة تنقسم إلى مجموعة مستقرة بين القبائل الكبرى ومجموعة من الرحل في الصحراء تسمى بصنهاجة اللثام، إضافة إلى زناتة التي انقسمت إلى بدو رحل بجهةالسباسب العليا بالمغرب الأوسط[3] وسكان مستقرين بواحات المزاب، وكذلك الشأن بالنسبة إلى نفوسة التي اعتبرت بترية لكنها سكنت القرى بجبل أوراس ووسلات.

قبيلة نفوسة:

نفوسة هي قبيلة من جنوب إفريقية، ذكرت في بداية الفتح قرب صبراطة وتسم الجبل الواقع بين جبلي دمر وغريان باسمها، وتولت أكثر من مرة قيادة القبائل المناهضة لسلطة الخلافة خلال القرن الثاني هـ، لكن دورها لم ينته مع انتهاء الاضطرابات، بل تواصل طويلا بعدها، إذ كانت بمثابة العصبية بالنسبة للدولة الرستمية، وساهمت في بنائها وفي الذود عنها.

نفوسة إذن يمكن أن تكون نموذجا للقبيلة البربرية التي لعبت أدوارا سياسية خطيرة، تارة رافعة لواء المعارضة ضد سلطة الخلافة وأخر ممثلة للسلطة الرسمية بتاهرت وذلك طول القرنين الثاني والثالث هـ.

---

1 ابن خلدون ، المصدر السابق ص 117.

[2] **هوارة:** وهم بنو هوار بن اوريغ بن برنس وتعود شعوبهم إلى أربعة من أبنائه وهم: ملد ويقال لقبائله بني لهان أو لهاتة ومعز، أو مقر وفلدن وهوار، ولهذا الأخير تنسب كل أوريغة: فيقال لهم هوارة لكبر سنه وشهرته فيهم، كما اندرجت فيهم قبائل أداسة البترية لأن أم أداس تزوجها أوريغ فأصبحوا إخوة لهم. انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1856.

[3] محمد حسن "حول إحدى القبائل البربرية، نفوسة (مجالها الجغرافي، وعلاقتها بالسلطة المركزية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 10، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1984، ص 150.

أ- المجال الجغرافي لقبيلة نفوسة:

كانت الأرض الإطار الأساسي لعمل القبيلة الجماعية وإنتاجها (رعي وصيد وتفليح)، مما يفسر الترادف بين الملكية العقارية والقبيلة، وقد اتسعت هذه الأرض أو تقلصت حسب الطريقة المتبعة في الإنتاج وحسب مدى قوة القبيلة أو ضعفها. وتتمكن القبيلة في الحالة الأولى من احتواء القبائل والعشائر الضعيفة المجاورة دون اعتبار للعامل الجينيالوجي.[1]

1)- اتساع أرض نفوسة وامتداد تسميتها إلى القبائل الأخرى:

تتكون قبيلة نفوسة في بداية العصر الوسيط من مجموعة عشائر وقرى شبه مستقرة بالجبل المعروف باسمها، على أن الجبل قد احتوى علاوة علة نفوسة على عدة عشائر غير متجانسة جينيالوجيا، من زناتة وهوارة مثل بني يغرن ونمور ومكسور وماطوسة وقد سكنت هذه المجموعات القبيلية وطن يغرن وناحية جادو، كما سكنت الجهة الغربة الخاصة بنفوسة والمسماة أميناج[2]. ومن المتغيرات في بداية العصر الوسيط استقطاب نفوسة لبقية القبائل والعشائر الصغيرة التي انصهرت تدريجيا داخلها حتى امتدت تسميتها في مرحلة أولى إلى ناحية جادو.

ولم تبقى إلا قبيلة بني يغرن الزناتية خارج منطقة نفوسة، وقد تصدت لمحاولات الاحتواء التي قامت بها نفوسة تجاهها، وقامت حركة خلف بني السمح لهذا الغرض، فتبنت فكرة انفصال حوزة نفوسة عن "وطن يغرن"، على أن تغلب نفوسة على الحركة الخلقية يعني بداية بسط نفوذها على جهة يغرن، وقد تم ذلك نهائيا في آخر العمر الوسيط حتى أصبحت تعنى كامل الجبل الممتد على مسافة 200 كلم طولا بين الجبل التونسي وجبل غريان.[3]

وبالتالي يمكن اعتبار هذا الخلاف الحاصل بين تسمية القبيلة وبين جذور الخلايا المكونة لها والقادمة من جهات نائية مختلفة قانونا هاما، ذاك أن الأسس الجينيالوجية للقبيلة الواحدة غير ثابتة نظرا لانتساب فروع صغرى لقبيلة

[1] محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، بدون طبعة، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986، ص 135.

[2] **أميناج**: وجدت داخل أميناج عدة بلدان من أصل هواري أوزناتي مثل كاباووتا، رويت وبنرست وتين ونزيرف وأبتر، انظر ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93، البكرى، المسالك والممالك، ص 9.

[3] محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 136.

قوية أو لانضمام أفراد من الموالي إليها، ويقع هذا نتيجة الهجرة والترحال والحروب أو نتيجة التقاء مصالح مشتركة، ويتم دمج هذه الأقليات عن طريق الزواج حتى تصل تدريجيا إلى مرحلة الذوبان.[1]

وإن كان التفسير الكلاسيكي يكتفي غالبا بإرجاع كل أفراد القبيلة إلى أصل واحد فإن "مورغن"، من أوائل الممثلين لنظرية النسق الانقسامي، قد اعتبر أن ازياد عدد العشائر والقبائل نتيجة الهجر يؤدي إلى انفصال العشائر الجديدة عن الأخرى وبالتالي انقسام القبيلة الواحدة إلى عدة أجزاء.[2]

زناتة:

يشير ابن خلدون في حديثه عن توزع القبائل الزناتية، إلى انتشارها الواسع فيذكر مواطنهم الموجودة في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب[3]، لكنه يربط وبكل وضوح بين زناتة والمغرب الأوسط، الذي كان ديارا لها[4]. فجمهورهم به حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم فيقال المغرب الأوسط وطن زناتة[5]. فهو عبارة عن كنية جغرافية تدل على المواطن التي كانت تستقر فيها القبائل الزناتية[6]. وهو الممتد من واد ملوية غربا إلى واد الشلف والزاب شرقا. ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تاهرت جنوبا[7]، إن هذا التقسيم استند أكثر إلى توزيع قبلي صرف.

ويؤكد ابن خلدون على أولية زناتة بإفريقية والمغرب. فهي مساوية لأولية البربر منذ أحقاب طويلة.[8] وكانت زناتة من أعظم قبائل البربر وأكثرها جمعا وبطونا. وهو ما أهلها إلى تسلق مراتب الملك قبيل الفتح الإسلامي حيث كانت الكثرة والرئاسة قبل الإسلام لجراوة[9]، ثم لمغراوة[10] وبني يغرن[11]، وقد كانت مغراوة بأنها أوسع بطون زناتة.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 230.

[2] المصدر نفسه، ص 232.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 04.

[4] نفسه، ج6، ص 203.

[5] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 04.

[6] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ /12 و13 م، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 29.

[7] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 4-203.

[8] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 14.

[9] **جراوة:** من ولد كراوين الديرث بن جانا مواطنهم بجبل اوراس رئاستهم خلال الفتح الكاهنة دهيا بنت بن نيعان بن باروين معسكري: انظر ابن خلدون –العبر، ج7، ص 10.

[10] **مغراوة:** من ولد يصلتن بن مصرا بن زاكيا بن وارسيك بن الديرث بن جانا بن يحي بن مغراوة،انظر ابن حزم، جمهرة الانساب ص 497.

[11] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 15.

وقد كان لبطون مغراوة انتشار واسع بضواحي وقفار المغرب الأوسط،[1] كما كان لمغراوة في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الإسلام. فقد بقت صفة البداوة غالبة عليهم وبيئة الصحراء تجذبهم ومواشيهم وخيولهم.[2]

ولقد عادت إمارة تلمسان والمغرب الأوسط بعد أبي قرة إلى مغراوة ثانية حيث تولى الأمر محمد بن خزر المغراوي سنة 789/170م[3]. وبذلك حافظ المغرب الأوسط على استقلاله خلال النصف الثاني للهجرة/ الثامن ميلادي، من خلال تداول بطون زناتة مغراوة وبني يغرن على حكمه.

ويبدو أن إمارة مغراوة ممثلة في محمد بن خزر المغراوي قد استمرت رغم دخولهم في طاعة الأدارسة.[4]

فتمتعت بيعة ادريس بن عبد الله، ودخل في طاعته مع سائر مغراوة وبني يفرن سنة 173هـ/789م مقابل منحه الأمر لسائر قبائل زناتة.[5]

ورغم قيام دولة الأدارسة والإمارة السلمانية[6]، بالمغرب الأوسط لم يقض على إمارة محمد بن حزر المغراوي. الذي ظل سيدا وأميرا على سائر بوادي المغرب الأوسط وتلمسان[7]، في حين اقتصر حكم بني سليمان في أغلب الأحوال على بعض مدن المغرب الأوسط[8]، وهنا أصبح هناك قوة سنية في ثلاث دول هي دولة الأغالبة بالقيروان وإفريقية ودولة بني خزر المغراويين بالمغرب الأوسط ودولة السلمانيين بتلمسان ودولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.[9]

وبذلك نجحت زناتة في الحفاظ على ملكها البدوي رغم وجود دول وممالك يحورها حيث امتد ملك محمد بن حزر إلى نواحي المغرب الأوسط حتى أواخر القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي.[10]

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 96-101.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 56.

[3] محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة الذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 90.

[4] **الأدارسة**: دولة تنتسب إلى إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب حيث أفلت من وقعة فخ 169هـ / فقر إلى المغرب ووصل إلى طنجة بمدينة وليلي وبايعه من بها من البربر، انظر: الطبري، ج8، ص 198.

[5] ابن خلدون، العبر، ج4، ص 24.

[6] **الإمارة السلمانية**: عدة إمارات قامت بالمغرب الاوسط منذ أواخر القرن 2هـ/8م تنسب إلى سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أنظر: المصمودي، مفاخر البربر، ص 253.

[7] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 52.

[8] نفسه، ص 52.

[9] عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والمغرب دار هومة ج1، ص 193.

[10] محمد بن عميرة، دور زناتة، ص 149.

وكان أمير مغراوة وزناتة عند الفتح الإسلامي خزر بن حفص بن صولات بن وزمار[1]. أما ملك بني خزر قد قوي أكثر وعظم شأنهم خلال الثورات والفتن التي عرفها المغرب أواخر العهد الأموي مع مطلع القرن الثاني للهجرة/ الثامن ميلادي، حيث استمر أبناء صولات بن وزمار في وراثة ملك مغراوة، وزناتة بالمغرب الأوسط فكان الأمر بعده لابنه حفص ثم ابن خزر.[2]

وبذلك نجاح زناتة ممثلة في أقوى بطونها مغراوة في الحفاظ على إمارة مستقلة بنواحي المغرب الأوسط. خلال القرن الأول ومطلع القرن الثاني من الهجرة. فقد هلك خزر خلال الفتنة التي عرفها المغرب بعد أن أفض أمر بني أمية بالمشرق.[3]

وكان بنوا يفرن أكثر قبائل زناتة وأشدها شوكة[4]. وكان رئيسهم خلال فترة انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس 132هـ/750م أبي قرة[5] والذي نسب إلى بني يغرن رغم وجود اختلاف بين المؤرخين في نسبه.

إلى أنه تولى أمر زناتة خلفا للثائر خالد بن حميد الزناتي[6]، فقد جمع حوله البربر بتلمسان[7] ودخلت أكثر من قبيلة في إمارته خاصة بني يفرن وصقيلة[8] وكذلك قومه سائر زناتة[9]، ولكن إمارته كانت يدوية الطابع خلال القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي.[10]

ارتبطت الكثير من القبائل والبطون الزناتية بحياة الظعن والنجعة[11]، فالإدريسي (ت 548هـ/1154م) يصف القبائل الزناتية المنتشرة بين تاهرت وتلمسان بأنهم أصحاب تلك الفحوص، وأنهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى غيره.[12]

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 252.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 50-51.

[3] نفسه، ج7، ص 51.

[4] نفسه، ج7، ص 35.

[5] نفسه، العبر، ج7، ص 22-24.

[6] العبر، ج7، ص 24.

[7] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 255.

[8] **صقلية**: من أبناء تمزيت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر، ابن حزم، المصدر السابق ص ..496

[9] السلاوي أبو العباس أحمد بن ناصر خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ج1، 2001م، ص 181.

[10] الدراجي بوزيان، القبائل الأمازيغية (أدوارها، مواطنها، أ.عيانها.، دار الكتاب العربي دط، ج1، الجزائر، 2007، ص 165.

[11] محمد بن عميرة، دور زناتة، ص 24.

[12] الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12م) ترجمة حمادي الساحلي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ص 101.

فقد كان معاشهم من الإبل فكانت منطقة الإبل بالمناطق الشرقية صحراء زناتة خاصة وأن جل القفار والمفاوز بالمغرب الأوسط قد كانت لبطون زناتة[1]. فضلا على تداولها في رئاسة ضواحيه أيضا. وكان يقومون أيضا على قطع السابلة وتحت ظلال رماحهم.[2] وهذا لا يعني أن كل زناتة رحالة يجرون وراء النجعة[3]، حيث نعثر على بعض البطون المنتمية إليها قد فضلت حياة الاستقرار سواء بالمدن أو القرى[4]، وغالب نشاط هؤلاء المستقرين كان عملهم الجزارة.

ويبدو أن القبائل الزناتية كانت من أكثر القبائل البربرية حفاظا على رطانتها ولهجاتها البربرية ذلك أن الكثير من اللهجات تعود إلى اللهجة الزناتية.[5]

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 127-128-129.
[2] نفسه، العبر، ج6، ص 176.
[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 168.
[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 195.
[5] محمد بن عميرة، دور زناتة، ص 24.

المبحث الثالث: الهجرات الخارجية في المغرب الأوسط

أولا: هجرة الأندلسيين.

ثانيا: الهجرة الفاطمية.

ثالثا: الهجرة الهلالية.

المبحث الثالث: الهجرات الخارجية في المغرب الأوسط.

هجرات الأندلسيين:

مما لاشك فيه أن العلاقة التي تربط الأندلس ببلاد المغرب كانت وثيقة وعميقة ومتعددة المجالات منذ الفتح الإسلامي ومرورا بجميع العصور التاريخية اللاحقة، ومن ثم لا يمكن حصر الهجرة الأندلسية في فترة زمنية معينة ومحدودة، لأن الهجرة الأندلسية إلى العدوة المغربية كانت حاضرة في مختلف الفترات التاريخية بأعداد قليلة أو كثيرة وعليه فإن النزوح اللافت للنظر للأعداد الكبيرة من الأندلس من بلادهم إلى بلاد المغرب الإسلامي في القرن السابق الجري الثالث عشر الميلادي، يطرح تساؤلات حول العوامل البعيدة والحقيقة التي دفعت هؤلاء الأندلس دفعا إلى التخلي عن وطنهم الأم، ورغبتهم في الاستيطان بأقاليم المغرب الإسلامي ومن ضمنها المغرب الأوسط.

1- عوامل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط:

ويلاحظ أن هذه العوامل المساعدة على بروز الهجرة الأندلسية وتزايدها منها ما هو متعلق بالأوضاع الداخلية للأنلس وهذه العوامل اتسمت في عمومها بالسلبية، إذ كانت أداة إجبار وقهر وضغط وطرد فهي عوامل أرغمت الأندلسيين على ترك وطنهم وديارهم وأملاكهم والارتحال إلى مناطق خارج بلادهم بحثا عن الأمان والاستقرار والحماية، وبالمقابل هناك عوامل تخص بلاد المغرب وهي تتميز بالإيجابية والجاذبية والتشجيع[1]، إذ ساعدت على استقطاب أعداد غفيرة من الأندلسيين إلى مدن مغربية محددة مثل مدينة تلمسان الزناتية ومدينة بجاية الحفصية.[2]

ويمكن أن نرصد أهم الجذب والطرد التي كانت وراء الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط على النحو التالي:

3-1- عوامل الجذب والاستقطاب:

يعتبر العامل السياسي من أبرز العوامل التي دفعت الأندلسيين إلى الهجرة نحو المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا، ويتضح ذلك أولا من خلال ما قامت به الدولة الموحدية من بسط نفوذها على كل ربوع المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس بحيث صارت العدوتان الأندلسية والمغربية تحت حكم سلطة سياسية واحدة

[1] علي أحمد، الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس هجري حتى نهاية القرن التاسع هجري، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، سنة 2008، ص 33.

[2] نفس المرجع، ص 35.

وهذا ما هيأ الأجواء لانتقال كثير من سكان بلاد الأندلس إلى منطقة المغرب الإسلامي سواء كان بتشجيع من الأمراء الموحدين أو بإجبارهم على الهجرة.[1]

وثانيا نجد سلاطين الدولة الزيانية هم كذلك قد حثوا الأندلسيين على الهجرة إلى حاضرتهم تلمسان، حيث نجد أن الأمير الزياني يغمراسن يصدر ظهيرا في شأن هؤلاء الأندلسيين الوافدين عليه، يؤكد فيه على ضرورة العناية الفائقة بهم.

ومنحهم كل ما يحتاجونه من مال وسكن وأراضي. مواساة لهم على ما أصابهم من ضياع منازلهم وأموالهم، وحير خاطرهم على ما لحق وطنهم الأندلس من عدوان وغزو نصراني وإظهار التعاطف معهم وطأنتهم على حياتهم في الحاضر والمستقبل.[2]

وكان للسياسة الزيانية من قبل السلطان يغمراسن صداها في بلاد الأندلس مما حث كثيرا من الأندلسيين المهددين في وطنهم بالقتل أو الأسر إلى اتخاذ حاضرة تلمسان الزيانية وطنا ثانيا لهم.

والملاحظ أن موقف سلاطين بني زيان من الهجرة الأندلسية إلى بلادهم كان عاملا جاذبا له تأثيراته الحضارية، حيث إنهم لم يترموا من وجودهم، ولم يعتبروهم خطرا داهما عليهم ووافدا ثقيلا يهدد دولتهم الجديدة، بل نجد العكس تماما فالاستقبال كان حارا، والترحيب كبيرا، والحفاوة لا تطير لها، والإرادة قوية والحماس شديد النشاط بارز، ثم إن الزيانيين انتهجوا أيضا سياسة تعتمد على تنشيط الحياة الثقافية والعناية بجميع الفروع العلمية والأدبية والفنية، ورعاية العلماء والأدباء وتشجيعهم مما أسهم في استقطابهم من مختلف الحواضر الإسلامية والمغربية خصوصا من البلاد الأندلسية[3].وهذه الرعاية والعناية الزيانية للجالية الأندلسية لم تكن فقط بالقول واللسان، بل ترجمت إلى أفعال وتسهيلات ومساعدات ووصلت إلى حد تمليكهم الأراضي وإمدادهم بالمال والسكن.

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، سنة 2005، ج2، ص 225.

[2] عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موقع للنشر، الجزائر، سنة 2011، ج1، ص ص 176-175.+

[3] عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص 319.

وتوظيفهم في المناصب العليا وجعلهم من الجاشية المقربة الخاصة، وقد تجلى ذلك في موقف مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن من ضيوفه الأندلسيين حيث كان أول من اعتنى بالأعلام والأعيان منهم وقربهم إليه وأعطاهم المناصب العليا في دولته[1]، وأصدر ظهيرا خاصا بهم منح فيه لهم الأراضي والمنازل والأموال.[2]

استمرت هذه الحفاوة الربانية للجالية الأندلسية عند بقية سلاطين بني زيان، وخصوصا من كان محب العلماء ومجالسهم كالأمير أبي العباس[3] الذي أظهر ترحيبا خاصا ومميز للجالية الأندلسية التي وفدت عليه [4]أو للأمراء الذي تشربوا الثقافة الأندلسية وكانت لهم تنشئة أندلسية في بلاد الأندلس مثل الأمير عثمان بن عبد الرحمن بن يحي يغمراس الذي ولد بغرناطة وسكنها، وقد أفرد لسان الدين بن الخطيب ترجمة مفصلة في إحاطته[5]. ويعد مجدد الدولة الزيانية وأكبر ملوكها الأديب والشاعر أبو حمو موسى الثاني ممن كان ثقافتهم وسلوكياتهم مطبوعة بطابع أندلسي واضح.[6]

3-2- عوامل الطرد والترهيب:

ويلاحظ أن هناك عوامل طرد وترهيب وتضييق وضغط وتخويف كانت وراء الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي، وهي عوامل ناشئة عن تواجد أخطار تحيط بسكان الأندلس وتهدد حياتهم ولهذا هناك علاقة وثيقة بين تأزم الأوضاع السياسية والاعتداءات النصرانية ببلاد الأندلس، وهجرة جاليات أندلسية إلى منطقة المغرب الإسلامي فكل مدينة أو قرية تتعرض لخطر بسبب صراع سياسي وفوضى اجتماعية أو لعدوان إسباني نصراني يقابله حتما فرار مجموعات سكانية سواء إلى مناطق آمنة بداخل البلاد الأندلسية او إلى العدوة المغربية القريبة جغرافيا من الجزيرة الايبيرية مثلما حدث في النصف من القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي من ضياع

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر فيتاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة ومرادعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة 2000، ج7، ص 106.

[2] العلوي البلغيثي، فصل الخطاب في توسيل الفقيه أبي الخطاب، مجلة دعوة الحق، العدد 249 رمضان 1406هـ/يونيو 1985م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ص 94.

[3] نفسه، ص 97.

[4] عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 323.

[5] ابن خلدون، المصد السابق، ج7، ص 106.

[6] المصدر نفسه، ج7، ص 141.

عدد من المراكز الإسلامية مثل بلنسية ومرسية وشاطبة وكان سببا مباشرا في تدفق الهجرة من بلاد الأندلس إلى داخل بلاد المغرب وخارجها خصوصا باتجاه مدن المغرب الإسلامي.[1]

ولعل أبلغ وصف لحالة التدهور السياسي لبلاد الأندلس ما رواه عبد الرحمن ابن خلدون الإشبيلي الأندلسي عن الدافع الرئيسي وراء هجرة أسرته الأندلسية إلى بلاد المغرب حيث قال: "وانتقضت دولة الموحدين بالأندلس وثار عليهم ابن هود ثم هلك واضطربت الأندلس وتكالب الطاعنية عليها وورد الغزو إلى القرنتيرة وهي بسيط قرطبة وإشبيلية إلى جيان، وثار ابن الأحمر بغرب الأندلس من حصن أرجونة، يرجو التماسك لما يبقى من رمق الأندلس وفاوض أهل الشورى يومئذ بإشبيلية وهم بنو الباجي وبنو الجد، وبنو الوزير، وبنو سيد الناس، وبنو خلدون، وداخلهم في الثورة على ابن هود وأن يتجافوا للطاغية عن القرنتيرة.. ويتمسكوا بالجبال الساحلية وأمصارها المتوعرة من مالفة إلى غرناطة إلى المرية، فلم يوافقوه على بلدهم وكان مقدمهم أبو مروان الباجي فنابذهم..ابن الأحمر وخلع طاعة الباجي وبايع مرة لابن هود ومرة لصاحب مراكش من بني عبد المؤمن ومرة للأمير أبي زكريا صاحب إفريقية ونزل غرناطة واتخذها دارا لملكه.[2]

ثم زاد الوضع السياسي سوءا بتسليم الأندلس كلها للنصارى الإسبان بعد استسلام أمير غرناطة لهم، وخروجه مطرودا بائسا إلى العدوة المغربية، وإجبار ما تبقى من الأندلسيين باللجوء إلى البلاد الإسلامية مغربا ومشرقا وهكذا كانت سياسة النصارى الإسبان في الاستيلاء على المدن الأندلسية وتخاذل سياسة أمراء الاندلس سببا قويا وحاسما في هجرة عدد كبير من الأندلسيين قسرا وعدوانا، فابن خلدون ذكر أن ملك قشتالة لما تكالب "على الدولة والتهم ثغورها واكتسح سبائطها وأشف إلى قواعدها وأمصارها أجاز الإعلام وأهمل البيوت إلى أرض المغربيين وإفريقية"[3] باحثين عن أماكن آمنة لهم.

وانطلاقا مما سبق يتضح أن الهجرة الأندلسية كانت نتيجة الأوضاع سياسية جعلت الأندلسيين يتخلون عن وطنهم الأم وينتقلون إلى بلاد المغرب[4]، وعليه فإن الوضع الأندلسي الداخلي خصوصا السياسي منه كان عاملا سلبيا وهادما للنسيج السكاني الأندلسي ومفككا للتجمعات البشرية، حيث أن الصراعات بين الأندلسيين

[1] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج2، ص 158.
[2] ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 33-34.
[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 438.
[4] خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية 633هـ -681هـ الموافق لـ 1235-1282م، دار الألمعية للنشر والتوزيع قسنطينة، الجزائر، ط1، سنة 2011، ص 280.

أنفسهم على السلطة والنفوذ وما نجم عن ذلك من حروب وتخريب وتدمير للعمران وتشريد لفئات من السكان وتزايد الضغط النصراني الإسباني واستمراره في مخططه العدواني بالاستحواذ على كل المدن الأندلسية واقتلاع الوجود الإسلامي بانتهاج سياسة التهجير والتمسيح والتعذيب كان عاملا حاسما في طرد جماعات من الأندلس من مدنهم وقراهم إلى نواحي من بلاد الأندلس مازالت مستقرة سياسيا وخصوصا إلى الجنوب الأندلسي أو إلى العدوة المغربية القريبة جغرافية من الجزيرة الأندلسية والأمية اجتماعيا وسياسيا.

وهناك عامل اقتصادي كان أداة هدم وسلب يدفع كثير من الأندلسيين إلى الهجرة الجماعية من بلادهم إلى مناطق أخرى مجاورة لهم.

النتائج الحضارية للجالية الأندلسية وتأثيراتها بالمغرب الأوسط.

يذكر العلامة ابن خلدون و"أهل الأندلس، فافترقوا في الأقطار، عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم النصرانية، فانتشروا في عدوى المغرب وإفريقية، من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الضائع وتعلقوا بأذبال الدولة".[1]

أ) سياسيا وإداريا:

استطاع حكام وسلاطين المغرب الأوسط استثمار الجالية الأندلسية التي فضلت الاستقرار بمدن

وحواضر المغرب الأوسط لتدعيم أركان الدولة والاستفادة من خبراتهم ويتعلق الأمر بإسناد أسمى الوظائف المخية المثقفة منهم ومن أمثلة ذلك:

ففي العهد الزياني يؤكد جورج مارسي بأن "هؤلاء الوافدين من أهل الأندلس أصحاب مال وضائع وثقافة، تفوقوا على سواهم في العلوم بصفة عامة وفي الفنون والآداب بصفة خاصة، ونالوا مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي وجلبوا اهتمام السلاطين والحكام[2]. فالسلطان يغمراسن قام بتقريب عدد الفقهاء الأعلام في وظائف مختلفة[3] مثل:

- أبي بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب المرسي الأندلسي كاتبا للرسائل.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 401.
[2] جورج مارسي، تلمسان، تر: سعيد دحماني، دار التل للنشر، الجزائر، 2004، ص 86.
[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص 106.

- ابن وضاح في وظيفة الخطية والشورى.

- أبو محمد عبدون بن محمد الحباك في وظيفة الخطابة والقضاء.

أما في عهد السلطان عثمان بن يغمراسن وابنه أبي حمو موسى الأول فقد قام بتقريب أسرة بأكملها عرفت باسم بنو الملاح من قرطبة وأسند لها أربعة وزارات مختلفة:

- محمد بن ميمون بن الملاح بن وزارة المال والحجابة في آن واحد، وعين ابنه محمد الأشقر من بعده، ثم ابنه إبراهيم بن محمد على نفس الخطة بعدهما وأشرك معه في الوظيفة من قرابته علي بن عبد الله بن الملاح.[1]

- محمد بن علي القاسم المرسي في وظيفة الكتابة والإنشاء.[2]

- الأسرة العقبانية التي احتكرت ودون انقطاع، منصب القضاء لمدة تزيد عن القرن وربع القرن (767-896هـ/1365-1490م).[3]

ب) اجتماعيا وثقافيا:

لقد كان للهجرة الأندلسية أثر واضح في النهضة العلمية والثقافية التي شهدها المغرب الأوسط من خلال إسهامات العلماء الوافدين[4]، ودورهم في تفعيل الحياة العلمية والفكرية رغم تدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية، اشتغلوا بالتدريس فكونوا خلفاءهم من العلماء والأئمة، وشاركوا في التأليف فتركوا تراثا علميا زاخرا.

- احتكروا قطاع التعليم في المغرب الأوسط لاسيما في المدن والحواضر، ونالوا نصيبا في تدريس علوم اللغة والآداب، والفن والموسيقى، وبينما كان السكان المحليون مسيطرين بصورة تكاد تكون دائمة على ميدان الشريعة والعلوم الدينية، كان النجاح حليف الأندلسيين في كافة الميادين الأدبية الخالصة من الخط والنحو إلى البلاغة

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 106.

[2] عز الدين عمر موسى.

[3] علاوة عمارة وآخرون، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، منشورات مكتبة اقرأ، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص 91.

[4] لمعرفة علماء الأندلس الوافدين على المغرب الأوسط، ينظر محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص ص 403-402.

والشعر والتاريخ والموسيقى[1]، فساهموا في تجديد طرق التدريس عن طريق المحاورة والمذاكرة وإلقاء الأسئلة.[2]

– التأثير في عادات وتقاليد مجتمع المغرب الأوسط في المأكل والملبس والمتاع، فمن بين الأطعمة التي ثبت دخولها المغرب الأوسط نذكر: الملوزة، البسكوشو، البسطيلة والموخاينة وهي نوع من العجائن المحشوة بالجبن، تقلى وتأكل مغلفة بالسكر والقرفة والعسل وشراب الورد.[3]

– وجود عدد من الألبسة يرجح أنها اندلسية الأصل رغم اختلاف أسمائها الأندلسية وتعويضها بأسماء مغربية مثل: البنيقة وهي عبارة عن منديل تضعه النساء على رؤوسهن أثناء الخروج من الحمام، القمصان المطرزة بالحرير وبالألوان والتي تحمل اسم القمجة ذات الأصل والتسمية الغرناطية.[4]

– إدخال فن الموسيقى الأندلسية كمؤثر ثقافي أندلسي ويعود الفضل في ذلك للفنان أبي الصلت بعدما ترك طليطلة سنة 478هـ/1085م)، ليحط الرحال بالبلاد التونسية[5] كما أدخلوا آلات موسيقية أندلسية، وحافظوا عليها مثل العود والرباب، والكامنجة، والصنوج، والطبيلة، والطار، والدربوكة، وحيوا المواليد والإرانيات وقصائد المديح والغزل والتشبيب ووصف الطبيعة والرثاء، وشعر الحرب.[6]

ج)اقتصاديا:

– المساهمة في بناء وتجديد عدد من المدن مثل مدينة تنس التي أنشأ سنة (262هـ/875م)[7]، ومدينة وهران سنة (290هـ/902م) حيث استقروا بها واستوطنوها بموافقة أهلها[8]، وهناك ثلاث عوامل على الأصل دفعت الجالية الأندليسة لتجديد تعمير المدن بها:

[1] محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، ص ص 219-220.
[2] ناصر الدين سعيدوني، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، التجربة الأندلسية بالجزائر، الرياض، 1996، ص 86.
[3] سلمى خضراء الجيوسي، الحضارة العربية في الأندلس، مركز الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1998، ص 103.
[4] محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى بلاد المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا تالشرق، ط3، المغرب، 1998، ص ص 126-127.
[5] هالة محجوبة، جماليات فن الموسيقى عبر العصور، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2007، ص 35.
[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 282.
[7] أبو حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1995، ص 78.
[8] عبد الله البكري، المسالك والممالك، .مكتبة.المثنى ج2،بغداد.، ص 738.

– العامل الطبيعي:

توفرت هذه المدن على موانئ هامة تجعل السفن بمنأى عن العواصف، وتساعد على رسوها، ووجود سهول واسعة خصبة مع توفر المياه العذبة بها وهو ما يساعد على الاستقرار.[1]

– العامل التجاري:

ضمان منفذ تجاري آمن للبضائع الأندلسية داخل المغرب الأوسط، ومنه إلى دول إفريقيا كالسودان مع تأمين احتياجات الأندلس من المغرب الأوسط.

– المساهمة في النشاط الحرفي من خلال إدخال حرف جديدة للمغرب الأوسط كصناعة الحلي والزرابي ذات الطابع الأندلسي، الصناعات الحريرية الجلدية، وكذا صناعة الخزف والطين والقرميد.[2]

إن المتأمل في ظروف الهجرة الأندلسية ودوافعها، ومن الوضعية التي وجدوا عليها، يدرك تماما بأن السلطة الحاكمة لم تتأخر يوما في مد يد العون للمهاجرين على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية بل فضلت إسكانهم بكبريات المدن وحواضرها، وفتحت المجال أمامهم للمساهمة بكل ما يملكون.

وبقدر ما كان مجتمع المغرب الوسيط يزخر بالعديد منن العناصر البشرية التي وفدت إليه بحكم الظروف التاريخية والموقع الجغرافي، بقدر ما استطاع الأندلسيون رغم ظروف وفادتهم الصعبة، أن يجعلوا لهم موطئ قد في مجتمع المغرب الأوسط، فانصهروا فيه لدرجة أصبحت معها جل مجالات الحياة تحمل طابعا أندلسيا من خلال التأثيرات التي أحدثوها في مختلف مجالات الحياة على امتداد العصر الوسيط.

أبو سفيان الحسن بن القاسم عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني:

كان شمال افريقية أرضا صالحة لنصرة المذهب الإسماعيلي ذلك أن التشييع العلوي تركز منذ نشأته في الشرق وظهر في بيئة الكوفة المتعددة الأجناس، وانتشر بين الموالي، ثم انتقل إلى المغرب بعد الملاحقات التي تعرض لها الشيعة من قبل العباسيين، وتمركزوا في شمال إفريقية في الأراضي التي ضعفت فيها السيطرة العباسية، ونشروا التعاليم

[1] محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، دار الشرق الدار ابيضاء، 1990، ص 50.
[2] المرجع نفسه، ص ص 50-51.

المشتركة للمذهب الشيعي ومأثر العلويين مما أدى إلى انتشار هذه الأراضي بين البربر على الرغم من وجود فوارق كبرى[1].

فقد أتاح لدراسة السيطرة على المغرب الأقصى بدون مشقة وتأسيس دولة الأدارسة كما اشتغل المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن الثالث هجري، باستثناء الأراضي التابعة لإمام تاهرت، على إمارة شيعية بلغ عددها تسع إمارات [2] مما هيأ التربة الجيدة لزرع وتنمية الدعوة الشيعية، لكن المذهب الإسماعيلي دخل إلى إفريقية بصورة أكثر تنظيما وسرية قبل نحو مائة وخمسة وثلاثين عاما من قدوم أبي عبد الله الداعي [3] وذلك في أواسط القرن الثاني هجري، الثامن ميلادي، وتركز في ديار القبيلة البربرية كتامة في المغرب الأوسط، التي عرفت أنها أكثر القبائل عددا وأصعبها مراسا، إذ كانت تسكن جبال الأوراس الوعرة في جنوب افريقيا، وهي البلاد الممتدة من طرابلس الغرب إلى طنجة.

مرت الدعوة الإسماعيلية بمرحلة الإعداد العقائدي النظري وتولاها أبو سفيان الحسن بن القاسم وعبد الله بن علي بن أحمد ومرحلة الدور العملي قامت على يد الداعي أبي عبد الله المحتسب المشهور بالشيعي الصنعاني[4].
وقد ظهرت نتائج هذه الأعمال فتمكن رجاله من دخول تاهرت أمانا وبدون أدنى مقاومة في شوال 296هـ/ 908م، وفي داخل المدينة تنكر جند كتامة لوعودهم السابقة بالأمان والتسامح وارتكبوا أفعالا سيئة ضد السكان، كما أمر الداعي بقتل اليقظان وأبنائه وإخوته وسائر من ينتمي للبيت الرستمي[5].

ويبدو أن مشروع إحياء نظام الإمامة، وأيواء الفارين من البيت الرستمي اعتبرا عملين موجهين ضد الحركة الإسماعيلية ولذلك أمر عبيد الله بإ رسال قوة عسكرية لتأديبهم على إظهار العداء وإساءة معاملته عندما كان في سجلماسة[6].

وقد كفل سقوط الإمارة الرستمية على جند كتامة وضم تاهرت لإطار الدولة الفاطمية مميزات منها:

---

[1] ابن خليكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن بكر (ت 681هـ / 1181م) وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت دار الثقافة، ج3، 1968، ص 83.

[2] القاضي النعمان بن محمد، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، تونس، 1996، ص 54.

[3] المصدر نفسه، ص 120.

[4] محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال افريقيا ومصر وبلاد الشام (297 – 567هـ/ 910 – 1171م)، الطبعة الثانية، دار النفائس، لبنان، 2007، ص 62 – 63.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 279.

[6] موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري / 11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص342.

. إن الدولة الفاطمية الشيعية نجحت في القضاء على قوة المذهب الإباضي، عندما تشتت شمل أنصاره في مجامل الصحراء، وصفت نظام الإمامة الرستمية بعد ماض طويل في المنطقة[1].

ولم يخل مشروع تصفية الإمامة من ردود فعل أخرى، ببث كان تمنع إباضية جبل نفوسة وإقليم طرابلس، وثوراتهم ضد الفاطميين.

ثم إن سقوط مدينة تاهرت التي تقع في مجال البتر، على أيدي بربر كتامة، من البرانس كان يعني تمسك البتر وبدون زناتة بالعداء الشديد للخلافة التي ارتبط مصيرها بسيادة قرع البرانس وكتامة خاصة.

وإدراك المهدي وخلفائه لأهمية المدينة في أية معركة ناجحة ضد زناتة وغيرها، هو الذي أملى عليهم اختيار نخبة من أخلص قادتهم، ورجالات كتامة للإشراف منها على حركات البتر وعلى الجزء الغربي من الدولة الفاطمية التي اتسع حتى مشارف طنجة[2].

أبو عبد الله الحسين بن أحمد الداعي – المعروف بالشيعي:

هو صاحب المرحلة الثانية للدعوة الإسماعيلية في المغرب وانتقلت على يديه مت الإعداد النظري إلى الدور العملي المادي لبناء دولة آل البيت، وقد تفرج من الكوفية التي تعد مهدأ للحركة الشيعية ومركز تخرج الدعاة[3].

وقد وصل أبو عبد الله إلى مكة واجتمع بحجاج كتامة في منى، وكانت الجماعة الكتامية تضم شخصان ينتميان إلى بطن كبير من بطون كتامة ودار حديث بينهم، وتكررت اللقاءات وتزايد إعجاب الكتاميين بصديقهم الجديد الذي استقطبهم التأثير النفسي[4].

وعند انتهاء موسم الحج، طلبوا منه الذهاب إليهم ولما وصلوا إلى مصر، تظاهر بأنه يريد الإقامة فيها لتعاطي مهنة التعليم فاقترحوا عليه أن يسير معهم إلى بلادهم ليعلم أبناءهم[5].

والواقع أن هذه الغيبة التي كانت ضرورية لتقديم نتائج الاستطلاع الأول وطلب تأكيد جديد لمهمته فاتصل بنائب الإمام وبعد أن قدم تقريره حصل على تأكيد لمهمته.

[1] المرجع نفسه، ص343.

[2] ابن خلدون، العبر، ج4، ص 78.

[3] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص59.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 62 – 63.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 64 – 66.

وقد وصل أبي عبد الله يوم الخميس في (15 ربيع الأول 280هـ/ شهر حزيران 893م)[1] ووقع اختيار أبي عبد الله على قلعة صغيرة يقال لها ايكجان[2]، تقع في فج الأخيار قرب قسنطينة وتقيم بها قبيلة سكتان التي ينتمي إليها حريث وموسى[3].

بدأ عبد الله مهمته، وتبين له أن الدين هو المدخل الذي يكفل له حشد الناس من حوله وقد قام بالاستفادة من جهود الدعاة الذين سبقوه، وبنى صداقات مع زعماء القبائل من خلال التعليم.

وهكذا أثارتت دعوته ردود مختلفة، لدى الكتامين لأن الدخول في الدعوة آنذاك لم يبلغ درجة الإجماع.

سياسة الفاطميين في توطيد سلطتهم بالمغرب:

أرسل عبيد الله المهدي بعد إعلانه خلافته عمالا إلى الولايات المختلفة واختارهم من زعماء كتامة وممن يثق بهم من المغاربة وعمد إلى أبي عبيد الله الشيعي بإخضاع بلاد المغرب الأوسط والأقصى لأن أهلها يظهرون له بالطاعة، فخرج أبو عبيد الله سنة 297هـ / 910 م مع بعض قادة كتامة وعائهم إلى تلك البلاد فافتتح مدنها، ثم سار على رأس الجيش سنة 298هـ/ 911م لإخضاع قبائل زناتة[4]، جنوبي بلاد كتامة، فدخلوا في طاعته وصار يجني منهم الأموال [5] فصار المهدي الحاكم المطلق بيده كل صلاحيات الحكم، ولكن أبو العباس قد وصل إلى درجة كبيرة من السلطة والنفوذ[6].

فخاف أبي عبيد الله الشيعي، وعلم أن المهدي قد تغير عليه بعد هذه الحادثة فاتفق مع أخيه بجماعة من كتامة على المهدي، ودخلوا عليه مرارا، باحثين على فرصة تسمح لهم بقتله، فأخذ المهدي في تفريق المواليين للشيعي ومن ثم قتلهم، ومن ثم أعد عشرة رجال لقتله، فقتل هو وأخوه يوم الاثنين للثامن من جمادى الثاني 298هـ/ 898م برقادة، وصل عليه المهدي[7].

---

[1] عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير بإبن الأثير (555 – 630 هـ) اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ج6، ص 584.

[2] إيكجان: جبل بقرب سطيف، على مرحلة ونصف من بجاية، وبه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع، انظر الإدريسي نزهة المشتاق، ص 63 – 70.

[3] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 71، 73.

[4] بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 241.

[5] محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، مصر، ب س، ص 27.

[6] حسني الخربوطلي – أبو عبيد الله الشيعي، ب د، ب . ب، 1973م، ص 59.

[7] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (ت 845هـ / 1147 م)، تحقيق جمال الدين الشيال، المنارة الأزهرية، مصر، ص67.

أثار حادث مقتل أبي عبيد الله الشيعي أهالي بلاد المغرب فثارت طرابلس واشتبك الكتاميون مع أهل القيروان، غير أن عبد الله ما لبث أن تمكن من إخماد تلك الثورات، ثم عهد عبيد الله المهدي إلى ولده أبي القائم بالخلافة من بعده وبعثه على رأس حملة لمحاربة الكتاميين الذين عادوا إلى بلادهم وأقاموا طفلا ادعوا أنه المهدي وزعموا أن أبا عبيد الله الشيعي لم يمت فقاتلهم أبو القاسم وأوقع بهم الهزيمة وقتل الطفل الذي ولوه باسم المهدي، رأى عبيد الله أن يستعين في إدارة دولته بولاة آخرين يكونون أكثر قربة وتبعية له[1].

وما لبث تاهرت حتى عاودت أن ثار أهلها الزنانيون وحاصروا العامل والحامية ووضعوهم في موقف محرج، فوجه المهدي إلى تاهرت عدد كبير من الجنود فاسترجعوا المدينة 929هـ/ 910م وأعادوا الأمن إلى تاهرت بعد أن كبدوا الزناتين خسائر فادحة[2].

لم تقتصر مجهودات المهدي على توطيد سلطان خلافته بل رأى أن يبني حاضرة في مكان يتوسط أجزاء دولته ليتخذها حصنا يعتصم بها هو وأنصاره ويوجه منه هجماته إلى الخارجين عليه، ولتكون مقرا للدعوة الإسما عيلية، فاختار مكان يبعد عن القيروان بستين ميلا، إسهاما المهدية ولما اكتمل بناءها سنة 305هـ/ 918م قال اليوم أمنت على الفاطميات، ثم انتقل إليها سنة 308هـ/ 921م[3].

انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر:

أوضاع مصر قبيل التواجد الفاطمي:

كانت السلطة الحقيقية في مصر خلال عهد الأخشيديين[4] الذين خلفوا المؤسس الأول للدولة الإخشيدية بصر العباسي محمد طغج [5] في يد كافور [6] الذي أصبح قائد جيوش الأخشيديين ومدير ممتلكاتهم بدأ الخليفة الفاطمي يظهر أطماعه من أجل دخول مصر، إلا أن كافور لم يبق في الحكم إلا مدة تفوق السنتين بقليل سنة 367هـ/ 968م.

---

[1] محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص27.

[2] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 320 – 322.

[3] محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 28 – 29.

[4] الأخشيديين: هي الأسرة الحاكمة لمصر في عصر الخلافة العباسية ويعود اسمه إلى محمد بن كغج الذي لقب بالأخشيد حكمه من الأسرة سنة 323 – 367هـ/ 989م

انظر، الكندي – ولاة مصر، تحقيق: حسين نمتار، دار صاد، لبنان، ب،س،ص 304 – 305.

[5] محمد طغج: عينه الخليفة العباسي على مصر من قبل الراضي بالله سنة 323هـ وكانت أعماله استبداد الأمن في مصر والشام، المصدر نفسه، ص 304 – 305.

[6] كافور: استبد كافور بالأمر بعد وفاة علي بن الأخشيد على مصر وعي باسمه على المنابر في سنة 355هـ توفي سنة 357هـ، المصدر السابق، ص314.

ولم يكن المصريون يأملون أي شيء من جانب العباسيين، وذلك أن بغداد كانت منشغلة بالفتن التي قامت بسبب البويهيين، وبذلك لم تكن الخلافة العباسية لم تفكر أبدا في إغاثة مصر، وكان الخليفة الفاطمي قد حرص قبل مدة على توجيه جيوشه إلى مصر على تكثيف اتصالاته مع كبار القوم الإخشيديين وكان دعاته منذ عهد بعيد يجوبون البلاد من أجل نشر المذهب الإسماعيلي بين المصريين[1].

ثورة الكتاميين:

برزت مظاهر الطبيعة القبيلة المتقلبة بين أبناء قبيلة كتامة الذين بهرتهم انتصارات أبي عبد الله الداعي السريعة، وأسهوا بشكل بارز في قيام الدولة الفاطمية، واعترف عبيد الله المهدي [2]، بفضل هذه القبيلة، فعين الولاة وحكام المدن والقضاة والدعاة وقادة الجنديين افرادها، وشجعهم على التخلي عن حياة القبيلة، وخشي أن يفقد الكتاميون ميزتهم القتالية، وأفضى إلى عبيد الله المهدي بمخاوفه، استاء المهدي من مخاطبة الداعي له بهذه الجرأة، واستمر في سياسته تجاه أبناء قبيلة كتامة[3].

ويبدوا أن عبيد الله المهدي هدف إلى صرف أبناء كتامة عن التفكير بالتمرد على حكمه نتيجة التدابير التي نقدها بحق القبيلة وحواضرها، واتبع سياسة التفرقة بين الكتاميين، فقرب إليه نفرا من الرؤساء، واستعان بهم في القضاء على أبي عبد الله الداعي وأخيه أبي العباس وأنصارهما، ثم قرب آخرين واستخدمهم في القضاء على هؤلاء، ورفع من شأن غزوية زعيم ملوسة، وأهمل شأن أبي زاكي زعيم أجانة.

أثارت تدابير عبيد الله التي نفذها بحق أبناء كتامة، وبخاصة قتله لأبي زاكي والداعي، موجة من الإستياء، واضطر إلى الاحتجاب عدة أيام ظهر بعدها ليعلن منح الأمان لكتامة، لكن شكوكه فيهم استمرت على حالها، ولما استقبل وفدا من زعمائهم ألقى القبض عليهم وقتلهم، وشعر الكتاميون بالإذلال، وأحسوا بالألم من سياسة عبيد الله المهدي، فقاموا بعدة ثورات ضد النظام[4].

---

[1] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص376.

[2] عبيد الله المهدي: (259 – 323هـ/ 873 – 934 م) مؤسس الدولة الفاطمية في سلهجنة قرب مدينة حماة السورية ارتحل منها إلى المغرب، وما هي فترة وجيزة حتى سيطر عليها وفي مراكش وأسس مدينة المهدية هناك واتخذ منها قاعدة مملكة،

انظر: والي ثلجة، وشائح التواصل الفاطمي بالمغرب الأوسط بعد انتقال الخلافة (197 – 547هـ/ 909 – 1153 م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص وسيط، 2016 – 2017، ص2.

[3] كتامة: هذه القبيلة لها أهمية تاريخية، لأنها هي التي قامت الدولة الفاطمية بجهودها وبعد انتقالهم إلى مصر بقيت لهم بقايا في جبل الأوراس ومن سكن المغرب الأقصى وبناحية مراكش كانت تسكن المغرب الأوسط مع صنهاجة وتشغل المنطقة بين مدينتي بجاية وقسنطينة (انظر عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية نهاية القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، القاهرة، 1991، ص ص 18 – 19.

[4] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 89 – 90.

انطلقت أولى تلك الثورات من مدينة رقادة، انتقاما لمقتل قادة كتامة ومصرع الداعي، واضطر النهدي إلى الخروج بنفسه لإخمادها والتنكيل بزعمائها، واندلعت الثورة الثانية في اقليم الزاب، وهو الجزء الغربي من ولاية افريقية، وأعلن الكتاميون انفصالهم السياسي والمذهبي عن الدولة الفاطمية، فأقاموا غلاما حدثا من أحسن أهل بيت فيهم يقال لهم بنو ما وطنت من أورسة يعرف باسم كادو بن معارك وزعموا أنه المهدي، واتخذوا من محل إقامته لهم، وزحفوا إلى ميلة واستولوا عليها وسيطروا على أهم مدن إقليم الزاب منها قسنطينة[1] التي أضحت مركز المقاومة الدولة الفاطمية.

ذعر عبيد الله المهدي من هذه الحركة الثورية،، فبادر فورا إلى إخمادها قبل أن تستفحل، فأرسل بنطاس بن حسن الملوسي على رأس جيش كبير وجماعة من رؤساء كتامة ممن هم على عهده، اصطدم بالثائرين، لكنه انهزم أمامهم، مما دفع عبيد الله المهدي إلى إرسال القائم لقتالهم، فاستولى على مدينة قسنطينة من بلاد كتامة، وزحف إلى ميلة، ثم التقى بالماوطنتي يوم الأحد (3 ذي القعدة 299هـ/ 21 حزيران 912م) في وادي الزيت، فهزمه وأرغمه على الفرار، وطارد أتباعه، ثم توجه إلى إيكجان وأقام معسكرا فيها، وأرسل غزوية لمطاردة الماوطنتي، فألقى القبض علي في وادي سهر، وعاد القائم إلى رقادة [2] ومعه الماوطنتي وبعض أصحابه فقتلوا في إيكجان.

كان لحركة التصفية التي قام بها عبيد الله المهدي ضد زعماء كتامة أثر كبير في القضاء على الجيل الذي أنشأه أبو عبد الله الداعي، وضعف شأن كتامة وانهارت رود أبنائها المعتوية، وظل وضعها يتدهور حتى عهد الإمام الفاطمي المنصور[3].

العرب الهلالية بالمغرب الأوسط:

بسبب الظهير الفاطمي الذي منحه الخليفة الفاطمي للقبائل العربية والذي بمقتضاها تم تقسيم ملك المغرب على شيوخ القبائل الهلالية فكان أن صارت ولاية قسنطينة للحسن بم مسرة – أمير قبائل دريد- الأمر الذي شرع لهم الاستمرار في التقدم نحو المغرب.

---

[1] قسنطينة: يضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسر الطاء، مدينة وقلعة يقال لها قسنطينية الهواء وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد وهي من حدود افريقية مما يلي المغرب لها طريق واتصال بألحام متناسقة جنوبيها تمتد منخفضة حتى تساوي الأرض وحولها مزارع كثيرة.

انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ص 349).

[2] رقادة: مدينة كبيرة، دورها 24040 ذراع، كانت أكثر بلاد افريقيا بساتين وفواكه وليس بافريقية أعدل هواء من رقادة ولا أرف نسيما ولا أطيب تربة.

انظر: مؤلف مجهول الاستبصار، تحقيق سعد زغلول، ص116.

[3] محمد سهيل طفوش، المرجع السابق، ص90.

أول تدخل للشؤون السياسية الداخلية لبني حماد سنة 497هـ/ 1056م وذلك عندما حاول محسن ابن القائد (ت 447هـ/ 1056 م) استعمال قوم من العرب لقتل ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد (ت 454هـ/ 1052 م)[1].

إلا أن الحدث الأكبر والذي أدى إلى رسم واقع اجتماعي وسياسي وثقافي بالمغرب الأوسط هو الهزية التي لحقت بالناصر بن علناس (ت 481هـ/ 1081م) في معركة سبيبة سنة 457هـ/ 1056م، فقد جمع هذا الأخير جيشا من صنهاجة وزناتة ومن العرب عدي والأثبج وحاول الاستيلاء على ملك بني عمه بني زيري بإفريقية إلا أنه انهزم أمام قبائل رياح وزغبة وسليم[2].

وأخذ الوجود الهلالي بالمغرب الأوسط وضعا جديدا حيث تخطى العرب أعمال بني حماد وأحجروهم بالقلعة، كما بدأوا ببعثهم في قرى ومدن المغرب الأوسط.

ولم يقتصر الصراع الهلالي مع ملوك بني حماد فحسب بل انتقل إلى زناتة فبعد أن غلب العرب صنهاجة اجتهدت زناتة في مدافعتهم، فحاربهم أمير تلمسان يحي من ولد يعلى المغراوي الزناتي.

وعقدوا أعلى حرب الهلاليين لوزيرهم أبي سعدى خليفة بن اليغريني، فكان له مقامات في حروبهم ودفاعهم عن الزاب.

إلا أن انهزمت قبائل زناتة أمام بني هلال واستمر بنوا واسين من هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب[3].

والواقع أن المجتمع الذي أقامه أبو عبد الله لم يكن مهددا للنظام السياسي فقط، بل كان مهددا للنظام القبلي السائد بين كتامة وغيرها من قبائل البربر.

أما في الخارج، ومع اتساع نقطة الدعوة وتكاثر عدد المنضوين إليها. كان من الطبيعي أن تتولد ردود عنيفة لدى بعض أصحاب السلطان في بلاد كتامة، ولدى صاحب افريقية[4].

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الفاطميين، الجزء 2، ص218.

[2] النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص 347.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 42.

[4] فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994م، ص 92.

وكانت الدولة الأغلبية آنذاك تعاني من اضطرابات داخلية جعلتها عاجزة عن التصدي للقوة الإسماعيلية وكانت افريقية قد فقدت إثر ثورة الجند في يلزمة [1] ، وكانت قد قضت منذ مدة قليلة على الثورات التي احتاجت قمودة [2] ، والأربس، وبابة، وأرغمت ابراهيم الثاني على الاهتمام برقادة مع حرسه الأسود.

وفي السنوات التالية التي كان فيها الداعي يوسع سلطته، كان الأمير الأغلبي منهمكا بقمع التمردات في تونس، وردا على الإنذارات التي وجهها إليه الخليفة العباسي المعتضد زحف ابراهيم الثاني على طرابلس لقتل ابن عمه الذي عينه الخليفة العباسي أميرا على افريقية ثم وجه ابنه إلياس لقمع الثورات التي اندلعت في تونس في عام (284هـ/ 897م) وفي بسكرة[3] ، وفي صقلية في عام (287هـ/ 900 م)[4].

انفجر الصراع بين الأغالبة والداعي أبي عبد الله بسبب موقف حاكم مدينة ميلة من الدعوة الإسماعيلية في أرض كتامة، وتشكل ميلة [5] حصورا عربيا في قلب بلاد كتامة.

وهكذا نجح الشيعة الإسماعيليون في إقامة الدولة الفاطمية في شمال افريقية بأقسامها الثلاث: طرابلس وإفريقية والزاب[6].

أوضاع المغرب الإسلامي قبيل الهجرة الهلالية:

1 – الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد المغرب الإسلامي:

برحيل الخليفة المعز لدين[7] الله إلى مصر سنة (262هـ/ 973م) وتنصيب أمير بربري يمثله في البلاد التي تركها، تصل الأزمة العبيدية إلى الإنفكاك وتقترب من الانقلاب الذي عجل بالكارثة، وفي ثلاثة أرباع من القرن يشهد في افريقيا دولة في القاهرة ألا وهي مملكة " بني زيري " وحكام هذه المملكة من الصنهاجيين، ويعتبر ابن

[1] يلزمة: تقع إلى الجنوب من سطيف على مرحلتين منها بالقرب من قسنطينة، ابن حوقل، صورة الأرض، ص 91 – 92.

[2] اقليم بتونس يقع إلى الشمال الشرقي من جبل سيدي عيش وتقع قفصة على حدوده ويصحف هذا الإسم إلى حمودة وإلى قبودة، ابن حوقل، ص92.

[3] بسكرة: بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة حماد مرحلتان،
انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 301.

[4] الدشراوي، المرجع السابق، ص 98، 99.

[5] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ص 137 – 138.

[6] المصدر نفسه، ص247.

[7] الخليفة المعز لدين الله: هو معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي، هو الخليفة الرابع، تولى الحكم بعد وفاة أبيه القائم 334 هـ، غزا المعز بني أمية بالأندلس وغزا بلد الروم.

باديس[1] (386 – 407هـ/ 996 – 1016م) أحد الحكام الذي خلع لطاعة العبيديين وكان سببا في هجرة العرب الرحل إلى افريقية[2].

أدت الصراعات السياسية داخل البيت الصنهاجي إلى افتراق صنهاجة إلى دولتين دولة المنصور بن بلكين ودولة حماد بن بلكين وتعتبر سنة 432 هـ – 1040م) سنة الانشقاق داخل البيت الصنهاجي[3].

2 – الأوضاع الاقتصادية:

عرف الازدهار الاقتصادي للملكة المعز بن باديس (406 – 454 هـ/ 1016 – 1062 م) وامتد هذا الازدهار الذي ظهر مع الأغالبة والذي أوقف نهضتها الاستغلال الضريبي للفاطميين إلى جانب عوامل الازدهار كانت هناك عوامل معيقة من الكوارث الطبيعية والاجتماعية، منها:

. تراجع قيمة الدينار والدرهم عند الزيريين ارتفاع الأسعار وزيادة الأزمة.

. الحملات الصنهاجية على واحة الجنوب لغرض السيطرة على التجارة الصحراوية (تجارة الذهب والرقيق قد فلت في عهد الزيانيين[4].

ففي سنة (395هـ/ 1004م) ذهب مال الغنى وغلت الأسعار، وظهر وباء وطاعون هلك فيها كثير من الناس، وجاء خلق من أهل الحاضرة والبادية إلى جزيرة صقلية وفي نفس السنة قام حماد بن بلوغين بحملة واسعة على زناتة ومغراوة وبني يغرن ببلاد الزاب.

---

[1] ابن باديس: أبو تميم شرف الدولة رابع ملوك دولة بني زيري الصنهاجية، (..... تكن مدة حكمه تمثل أوج ازدهار هذه الدولة، مات أبوه في 30 ذي القعدة 406هـ/ 1016م أدى إلى تقسيم مملكة بني زيري نهائيا لصالح فرع الحماديين.

[2] لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، الجزء الثالث، بدون طبعة، ص ص – 62 – 63.

[3] المصدر نفسه، ص210.

[4] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطون، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الاسكدرية، ج3، 1996، ص 435.

الزاب: مدينة حسنة، كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور من تراب وأهلها أفلاط وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات.

زناتة: أكبر شعوب البربر وأوفرهم عددا، وتنحدر من ولد أجانا أوزانا بن يحي بن ضريس وسن أشهر بطونها جراوة قبيلة الكاهنة الضاربة بجبال الأوراس، ابن حزم.

القيروان: لغة هي معظم المعسكر والقافلة من الجماعة، وقيل أنه فارسي معرب أصله من كلمة كارون بمعنى القافلة، وهو الظهر وهو ما تناسب مع موضع المدينة الواقع في سهل فيضي.

في (420هـ/ 1029م) بلغت زناتة مشارف القيروان وأعادت الكرة بعد خمس سنوات وبقيت الحرب سجالا إلى حدود (428هـ/ 1036م) تمكن المعز من صد الهجوم والتقدم إلى بلاد الزاب وكانت سنة (430هـ/ 1038م) كثيرة الخصب بإفريقية، لكن طرابلس عرفت الجوع والتشرد، سميت هذه الكارثة (بسنة قراورا)[1].

3 – أوضاع اجتماعية وفكرية:

اشتد الصراع المذهبي بين أهل السنة والشيعة الروافض بعد قيام الدولة الفاطمية بإفريقية والمغرب (296هـ – 362 هـ/ 909 – 973م) يميل هؤلاء إلى حمل الناس على التشييع جبرا.

ولما انتقل الفاطميون إلى مصر سنة (362 هـ/ 973 م) خلفوا بني زيري الصنهاجيون وساروا على نهجهم من الدعوة إلى التشيع، ومحاربة أهل السنة والاضطهاد أعلام رجال الدين القرن الرابع هجري إلى الخامس هجري.

ولما تولى المعز بن باديس الحكم أعلن القطيعة للدعوة الشيعية حيث دخل إليه جماعة من المشارقة شيعة، مع عامل القيروان (407 هـ / 1016 م) فقتلوا أبا محمد الغرياني الفقيه وأصحابه[2].

أ – حيازة الأرياف والمجالات والضواحي:

رغم دخول العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط في وقت مبكر إلا أن هزيمة سببية 457هـ/ 1061م قد أحدث فارقا حقيقيا في طبيعة الوجود الهلالي فبعد فشل بني حماد في مواجهتهم عسكريا وكذلك فشل قبائل زناتة إضافة إلى فشل التحالف الصنهاجي الزناتي في دحر القبائل الهلالية اضطر بنوا حماد إلى الاتفاق معهم ومصالحتهم على التنازل لهم على ملك الضواحي وكذا البوادي[3].

فقد كانوا متطلعين منذ خروجهم من مصر إلى الحصول على الغنائم والسيطرة على المناطق الواسعة من البلاد.

إذ لم يكتفوا بصنهاجة، بل امتدوا إلى ضواحي زناتة التي أزاحوها من الزاب.

وبذلك تحولت مساحات واسعة من أراضي المغرب الأوسط إلى ضواحي يقطنها الهلاليون فأصبحت المنطقة الممتدة من قسنطينة إلى القل للعرب الهلالية ومن بونة إلى دار ملول، وتحكمهم في الأراضي المحيطة بكل من بونة[4] وميلة ومرسى الخزر وحصن باديس.

أما أهم البطون الهلالية التي استقرت بالمغرب الأوسط، فقد كان لبطون الأثبج وهي الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ولطيف ودريد وكرفة.

---

[1] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة للنشر، بيروت، 1983، ج1، ص 275 – 278.

[2] رابح بونار، المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى للنشر، عين مليلة، 2000م، ص 171.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص42.

[4] نفسه، ص 35 – 42.

وهذا التوزيع القبلي للعرب الهلالية لم يستقر على حاله نظرا للأحداث السياسية والعسكرية التي عرفها المغرب الإسلامي، ثم إن البطون الهزيلة كانت تتخلى عن مواطنها أمام القبائل الوافدة عادة من إفريقيا غالبا وقد ظل هذا الحراك مضطرب وغير مستقر.

ويبدوا أن ظاهرة استيلاء العرب على الضواحي واتساع مساحة المجالات لم تكن قاصرة على المغرب الأوسط فحسب، بل تحولت إلى برقة التي درست معالمها وخربت أمصارها إلى مجالات العرب، كما أصبحت كل البسائط ما بين افريقيا وطرابلس لهم[1].

[1] فوزية كرراز، صور من الواقع الاجتماعي للقبائل الهلالية بالقلعة وأحوارها، ملتقى دولي حول مدينة قلعة بني حماد (398 – 1427هـ/ 1009 – 2008م)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2007، ص 343.

خاتمة

الخاتمة

خاتمة:

لم تنقطع الاتصالات بين المشرق وبلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي إذ أصبح هذا الأخير ولاية من ولايات الدولة الإسلامية، ورغم ظهور الدول المستقلة لاحقا فإن العلاقة بينهما ظلت قائمة غالبا في شكل اعتراف وولاء سياسي أو روحي مذهبي، أما اجتماعيا وثقافيا فقد تواصلت حركة الهجرة والرحلة من الغرب إلى المشرق لطلب العلم أو الجهاد أو المجاورة بمكة والمدينة أو لأي أسباب وأهداف أخرى.

أما بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي، فإن الهجرة بين أقاليمه ظلت مستمرة كذلك سواء في الظروف العادية أو في فترة الاضطرابات السياسية والاختلافات المذهبية والأزمات الاقتصادية والتي كانت أكثر حجما بحكم القرب الجغرافي والعلاقات التاريخية.

إن ما عاشه العالم السياسي من أحداث سياسية وفكرية خاصة ابتداءا من القرن الثاني هجري إلى نهاية العصر الوسيط كانت مجالا لاتساع نشاط الهجرة بما هيئته من ظروف ودوافع ومن النصف الثاني للقرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي، بدأ الحضور الهلالي بالمغرب الأوسط ونجاحهم في حيازة أريافه وضواحيه ومجالاته ومجاورتهم لبربر المغرب الأوسط في أوطانهم وهو ما سمح بظهور ملامح العلائق والتفاعل بين العرب الهلالية والبربر على مستوى اللسان والمصاهرة والنشاط الاقتصادي والعادات والتقاليد والزي واللباس.

ولقد زادت وتيرة الاندماج الهلالي في المنظومة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية بالمغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عموما مع قيام دولة الموحدين ونجاحها عسكريا في كسر شوكة العصبيات الهلالية من جهة وإضعاف النسيج الهلالي بالمناطق الشرقية من جهة أخرى إضافة إلى محاولة الموحدين طبع مجتمع المغرب الأوسط بطابع مشروع الخلافة الموحدية.

قد يكون من المهم بالنسبة للهجرة ليس اعتبارها مجرد حركة انتقال للأفراد والجماعات من منطقة لأخرى، بل إن أهمية أي ظاهرة اجتماعية تكمن في نتائجها وتداعياتها الإيجابية منها والسلبية آنيا ومستقبلا، على المستوى المحلي أو الإقليمي وفي أي مجال من المجالات وكيف تم التعامل معها من قبل السلطة أو المجتمع.

إن حركة الهجرة التي عاشها المغرب الأوسط في الفترة موضوع الدراسة هي جزء من التفاعل والتطور الذي عرفه المجتمع على المستوى الداخلي أو ما طرأ عليه من مستجدات.

من خلال فصول هذا البحث يمكن أن تعطي بعض الملاحظات والاستنتاجات اختصرتها في فقرات.

الخاتمة

. خضعت الهجرة في معظم فتراتها ومراحلها للظروف والأوضاع السياسية التي عاشتها في منطقة الغرب الإسلامي عموما، سواء من خلال قيام الدولة الحمادية وما نتج عن ذلك أو من خلال القبائل الصنهاجية وما كان لها من دور في الهجرة وقبائل زناتة والقبائل ذات الأصل البربري وأيضا الهجرات الأندلسية التي كان لها دور كبير والخلافة الفاطمية التي تأسست في المغرب التي مثلت نقطة تحول وذلك من خلال تحالف القبائل معها.

. بعد أن استطاع حماد تحقيق غايته في الانفصال عن أبناء عمومته بدأ يظهر كيان دولته التي حققت شهرة كبيرة دامت حوالي قرن ونصف وهذا كله يرجع إلى حسن تسيير أمراءها بداية من حماد مؤسس الدولة ثم ابنه القائد بن حماد والمحسن بن بلكين بن محمد والناصر بن علناس الذي أسس مدينة بجاية والتي لعبت دورا في ازدهار الدولة.

إن هذه الدولة منذ تأسيسها على يد حماد واجهت العديد من الصراعات السياسية فلم يكن بمقدورها الانغلاق على نفسها، حيث أنها تعرضت للعديد من الهجمات سواءا من القبائل البربرية كزناتة أو أبناء عمومتهم الزيريين، أو علاقاتها مع دويلات المغرب.

رغم هذه الاختلافات والصراعات السياسية لم يمنعها من إقامة علاقات تجارية أو ثقافية سواءا مع الفاطميين أو الأندلسيين، كما أنهم كانوا متسامحين مع جميع الديانات وهذا ما جعل بجاية تمثل المركز الثقافي والتجاري.

إن صنهاجة المغرب الأوسط لم تكن قبيلة فحسب، بل شكلت حلفا كبيرا ضم بداية بطونها الضاربة في قلب المنطقة على غرار تلكانة وبني مزغنة ومليانة، ولمدونة.....، ثم امتد نفوذها إلى افريقية شرقا في عصر الزيريين إلى ما وراء تاهرت غربا.

ولم يستطع نجم صنهاجة المغرب الأوسط إلا مع مطلع القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي بعد دخولها في طاعة الفاطميين، نشاطهم لم يبرز إلا بعد اختطاط أشير سنة 329هـ/ 935م.

وقد أسهم التقارب الصنهاجي الفاطمي في تغيير ملامح الحياة القبلية التي كانت تعيشها صنهاجة، فاستقرت أحوالها، وبدت مظاهر الرفه على حياتها، فقد شكلوا ما يشبه إمارة تتمتع باستقلال ذاتي.

صنهاجة طغى عليها النظام القبلي، الذي ترأسه شيخ القبيلة ويشترط فيه الشجاعة والشرف والحكمة.

أدت هذه الهجرات إلى تنوع الأجناس والقبائل في تاهرت خاصة وبلاد المغرب الأوسط عامة، وأن دولة بني رستم هي دولة بدوية الأساس ذات حدود هلامية، لها نفوذ على قبائل بربرية بترية، بدوية، صحراوية.

بعد قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، قامت على العصبية البربرية، فكانت في بداية الدعوة حتى مرحلة القيام تستند في قهر أعدائها على قبيلة كتامة البربرية، وبذلك كانت عصب الخلافة الفاطمية، لكن ما إن بدأ

الخاتمة

يدب الضعف في كتامة حتى صار من الضروري البحث عن بديل يقوم بالشؤون الفاطمية، لما صار وقت الرحيل الفاطمي لمصر سبب الإضطرابات الغير متناهية في بلاد المغرب الإسلامي، الذي صار يشكل خطرا حقيقيا على استقرار الأمن الفاطمي حتى صار من الضروري الرحيل، وذلك حتى تضمن تبعية بلاد المغرب ولا تنفصل عن سلطاتها.

. عوامل الهجرة الأندلسية لبلاد المغرب الأوسط تنقسم إلى عوامل جذب وطرد ارتبطت بالأوضاع الداخلية.

فأما الإيجابية تمثلت في تزايد أعداد إلى مدن كتلمسان الزيانية وذلك لقيام سلاطينهم بحثهم على الهجرة واستقبال التعاطف والود دون أن ننسى العامل الجغرافي.

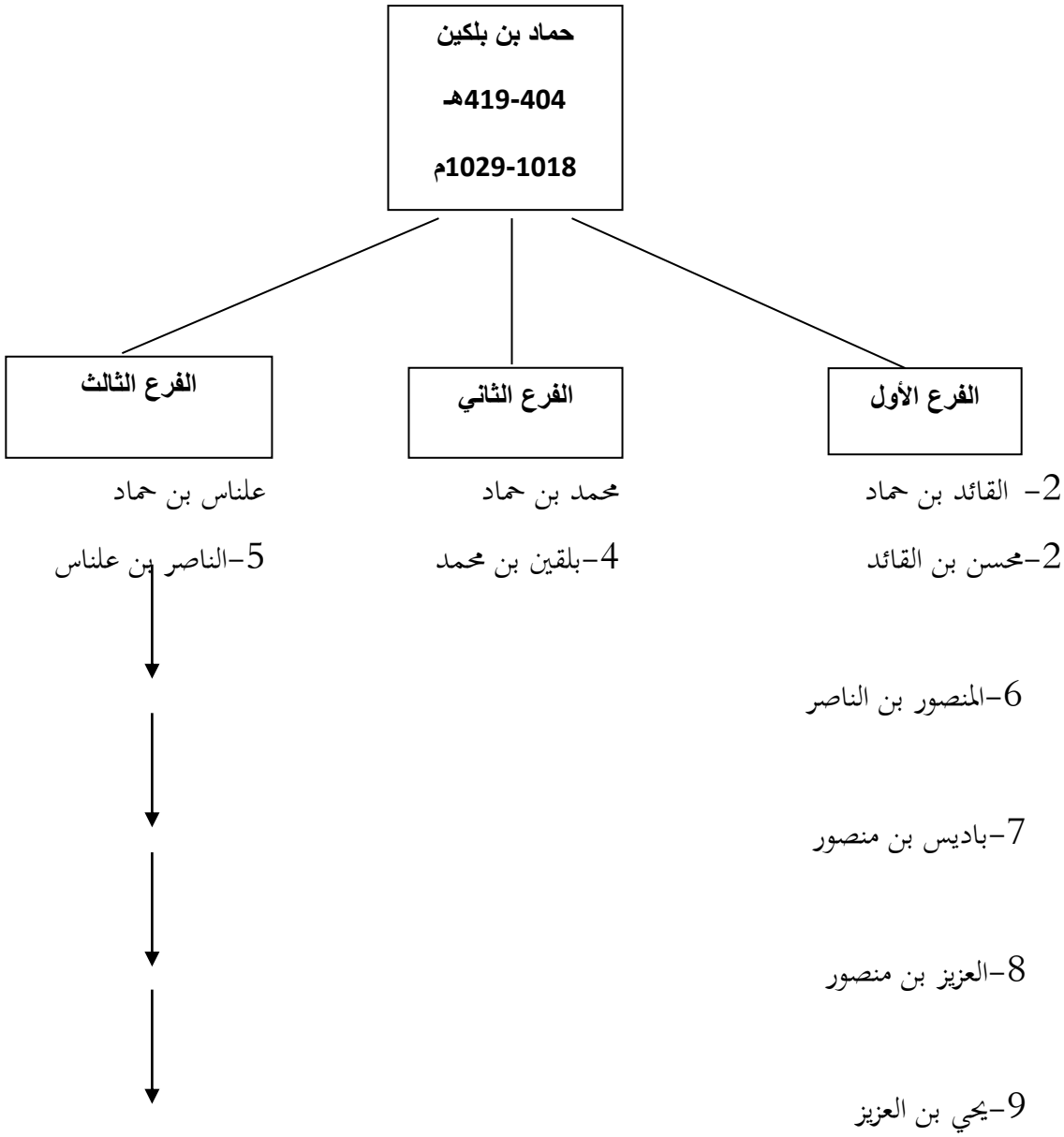
أما السلبية إذ كانت أداة جبر وترهيب أرغمتهم على ترك أوطانهم والارتحال بحثا عن الأمان كالاعتداءات النصرانية.

. أما الهلاليين نجد عند دخولهم المغرب الأوسط نجحوا في حيازة أريافه وضواحيه ومجالاته ومجاورتهم لبربر المغرب الأوسط.

قائمة الملاحق

الملاحق:

الملحق 01: أمراء الدولة الحمادية



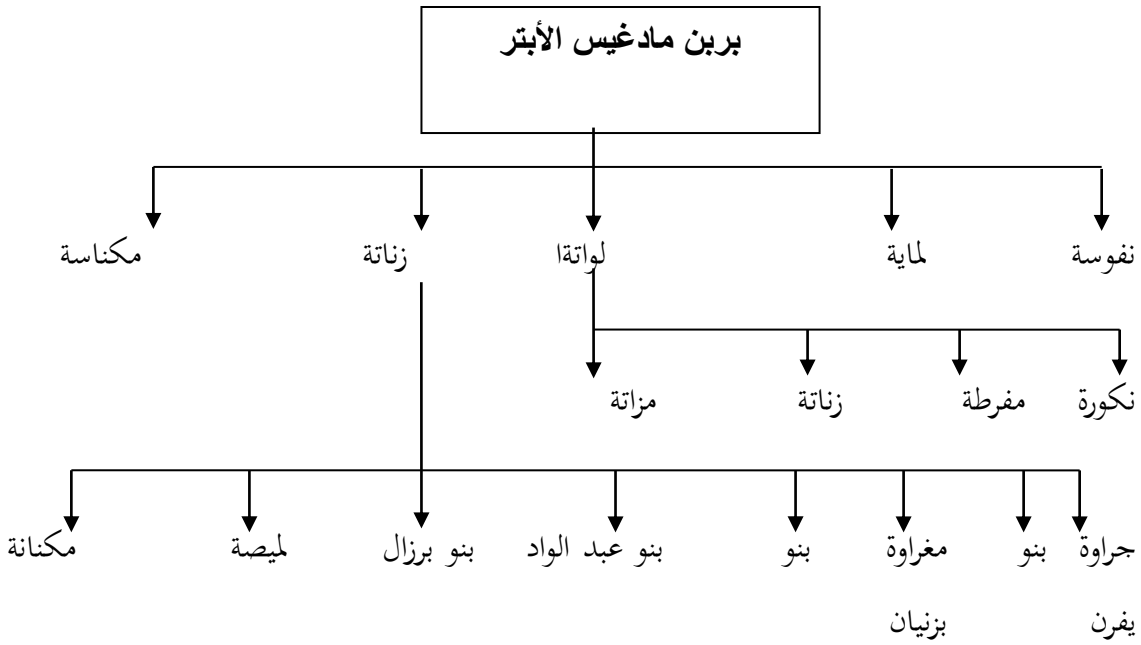
المرجع: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ص 35-116.

ملحق 2: أصل البربر البتر حسب ابن خلدون

مادغيس الأبتر			
زحيك			
نفوس	أداس	ضراولو وحريس أوضريس	لوا الأكبر
نفوسة (جهة طرابلس وجبل نفوسة)	أداسة وهوارة	ممصيب فاتن بن ممصيب ومنه نزلت ضريسة وهم ولد فاتن بن ممصيب بن حريس	لوا الأصغر أو نغز أو تطوفنت بن نغزاو ومنه نزلت نغزاوة وهم بنو تطوفنت بن نغزاو
بني زمور، بني مكسور ماطوسة		مطغرة، لماية مدينة، كومية مديونية، مغيلة مطماطة، ملزوزة مكناسة، دونة، زواعة، ورتناجة أوكنة	غساسة- مرنيسة- سوماتة- غراتيمة ولهاصة- مجرة ورسيق- مكلانة ورفجومة- زايتمة لواتة- سدراتة — مزاتة.

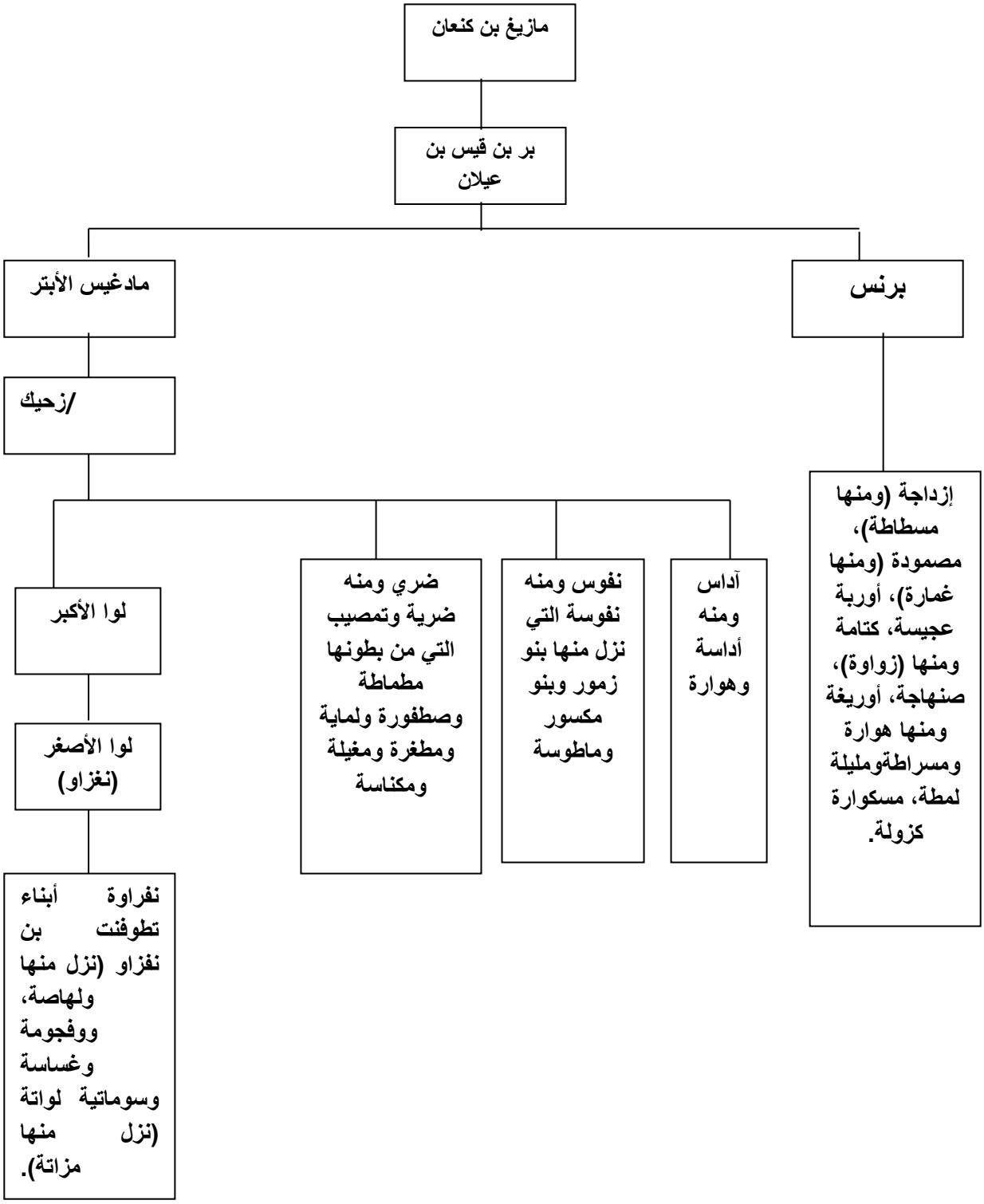
1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 158.

ملحق 3: قبائل البتر وبطونها وأفخاذها حسب ابن خلدون



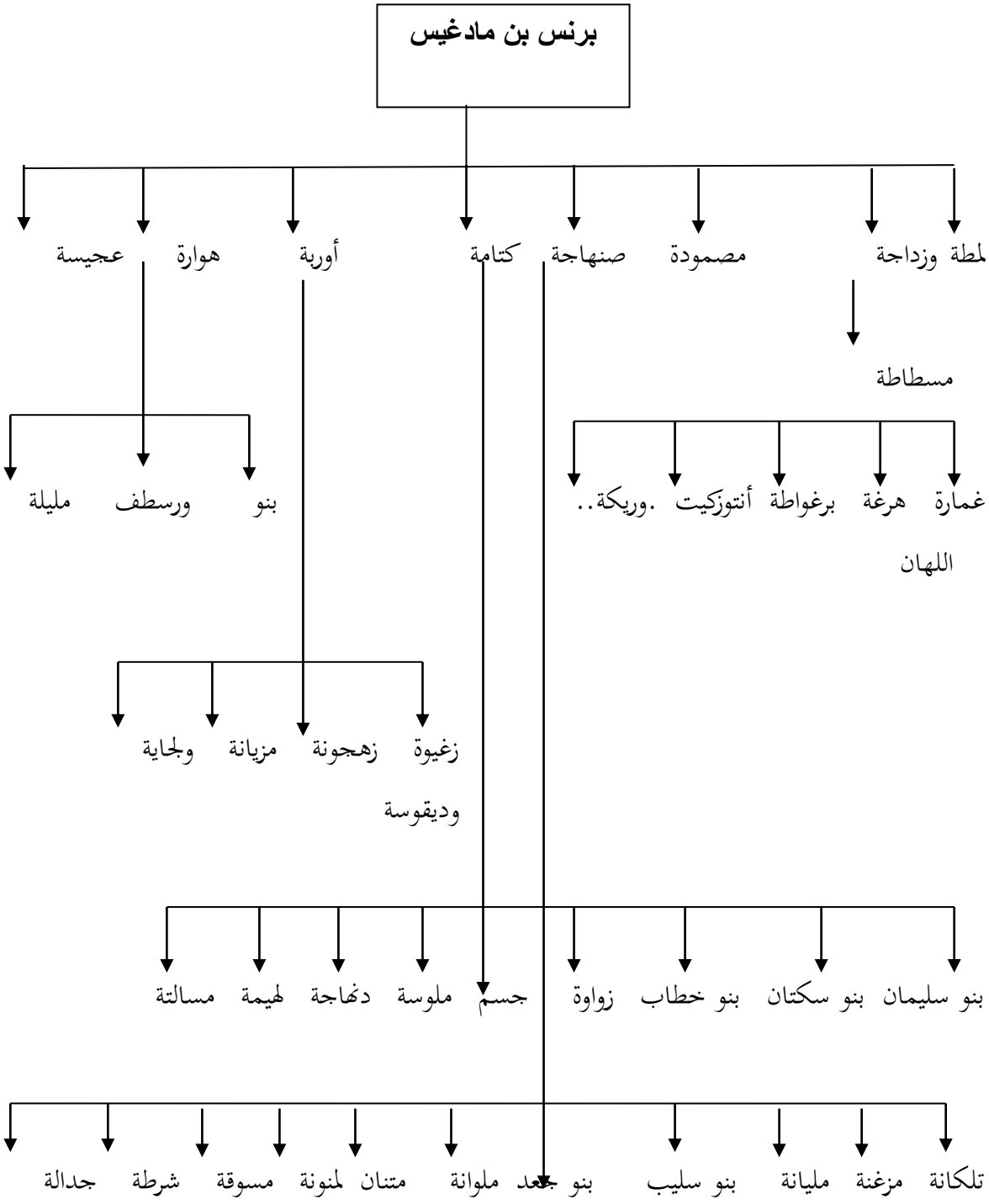
المرجع: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 117.

ملحق4: شجرة نسب البربر حسب ابن خلدون



المرجع: ابن خلدون، المرجع السابق، ج6، ص ص 117-121.

ملحق رقم 5: قبائل البتر وأفخاذها حسب ابن خلدون[1]



ملحق 6: أمراء الدولة الفاطمية

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، فرحاتية (صابرة)، وسعادة (نعيمة)، القبائل الأمازيغية من وفاة الكاهنة إلى نهاية الدولة الرستمية، مذكرة ماستر، كلي العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة بوضياف، الجزائر، 2017، ص 58.

الخلفاء الفاطميون:

1- عبيد الله المهدي (297هـ/322هـ - 909/934م).

2- القائم (322/334هـ - 934/945م).

3- المنصور (334/341هـ - 945/952م).

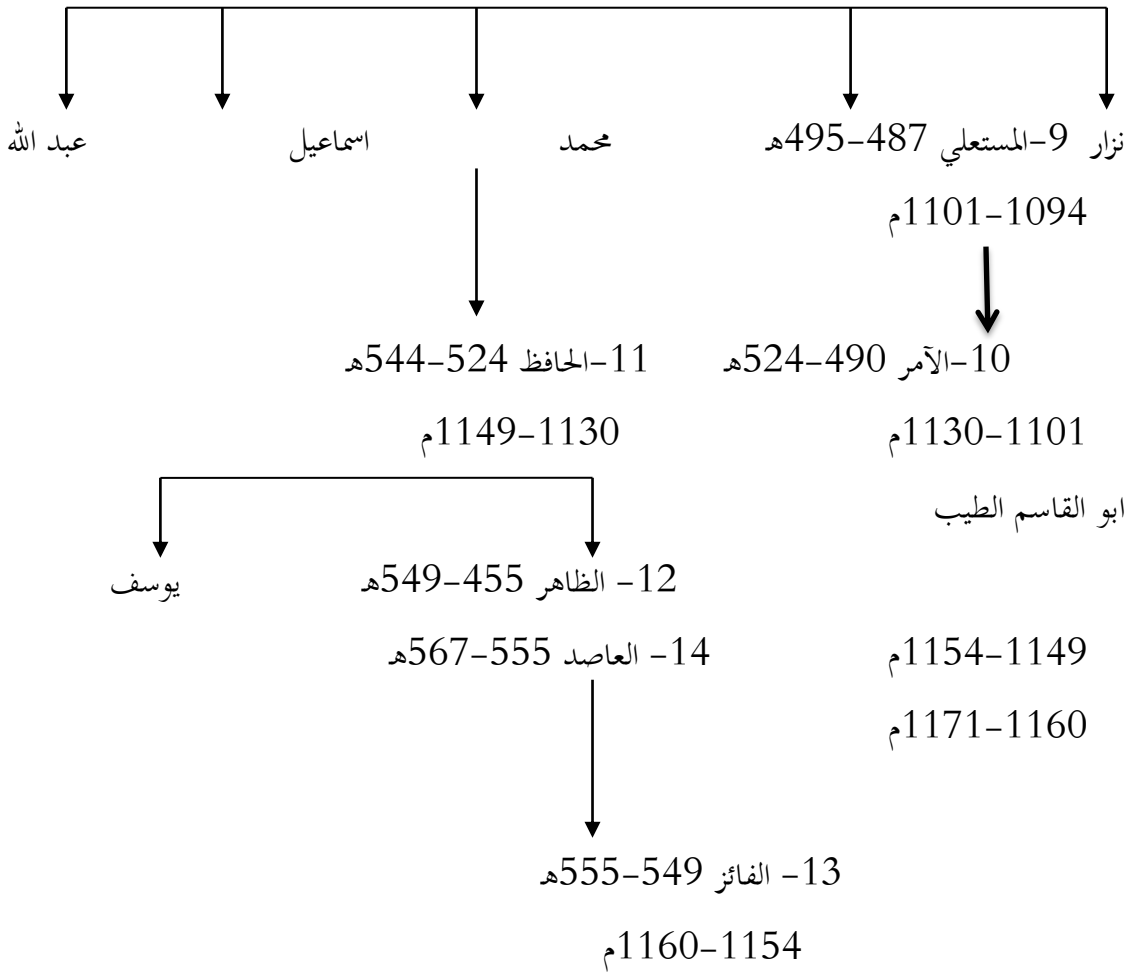
4- المعز (341/365هـ - 952/975م).

5- العزيز (365/386هـ - 975/996م).

6- الحاكم (386/411هـ - 996/1020م).

7- الظاهر (411/422هـ - 1020/1135م).

8- المستنصر (427/487هـ - 1135/1194م).



المرجع: محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ص 162

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

. القرآن الكريم برواية ورش.

كتب الحديث:

. البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت 256 هـ – 870 م) صحيح البخاري، ضبط نصوصه محمود محمد محمود وحسن نصار،دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1428 هـ – 2007م.

أولا: المصادر

1 – ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد (ت 603 هـ – 1233م) ، الكامل في التاريخ المعروف بتاريخ ابن الأثير، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، مكة المكرمة، د. ت، ج8، 11.

2 – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف، نزعة المشتاق في اختراق الآفاق (ت 558هـ – 1163 م)، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431 هـ – 2010م.

3 – البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ – 1094 م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، تحرير وتقديم وتعليق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1434هـ – 2013م.

4 – ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد الأندلسي الظاهري (ت 456 هـ – 1064 م)، جمهرة أنساب العرب تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1998م.

5 – أبو حمو موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان (ت 791 هـ – 1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م,

6 – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي النصيب (ت 380 هـ – 990م) صورة الأرض، نشر شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط1، 1430هـ – 2009م.

7 – ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سيعيد السلماني (ت 776 هـ – 1374 م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1395 هـ – 1975م .

8 – ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضري (ت 808 هـ – 1406م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به وراجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 1430هـ – 2009م.

9 – الرقيق القيرواني أبو اسحاق ابراهيم بن قاسم (ت 420 هـ – 1029م)، تاريخ افريقية والمغرب تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد غرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1414هـ – 1994م.

10 – ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله (ت 257هـ – 870م) فتوح افريقية والأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، دت.

11 – ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد بن أحمد (712 هـ – 1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983.

12 – الغبريني أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714 هـ – 1314م)، الدراية قيمت عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، أفريل، 1979م.

13 – الفيروز أبادي محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم (ت 718هـ – 1317م)، القاموس المحيط، تحقيق بحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1429هـ – 2008م.

14 – المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ – 1441م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الجزء الأول، دت.

15 – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ – 1311م)، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.

16 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

17 – النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري (ت 732 هـ – 1331م)، تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، تحقيق وتعلق مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984م.

18 – النعمان أبو حنيفة بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت 363هـ -974م) تاريخ افتتاح الدعوة وابتداء الدولة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

19 – الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب (ت 914هـ – 1508م) خرجه بإشراف الدكتور محمد حجي، الجزء الثاني، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م.

20 – ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت 626 هـ – 1228م) معجم البلدان، تحقيق محمد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1429هـ – 2008م

ثانيا: المراجع

1 – أبي بكر علي البيدق الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين تحقيق عبد الحميد حلجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 .

2 – أحمد حسن الخضري، علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مديولي، ط1، دت، مصر، ص16.

3 – أنيسة بركات، دور قلعة بني حماد في بناء حضارة المغرب الإسلامي.

4 – اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

5 – بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية (أدوارها – مواطنها – عيانها)، دار الكتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007م.

6 – بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى للنشر، عين مليلة، 2000م.

7 – بورويبة رشيد، الدولة الحمادية (تاريخها وحضارتها)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

8 – بشير رمضان التليسي – الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري، العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي، ط1، طرابلس، 2003م.

9 – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن – دراسة تاريخية وحضارية 633 – 681 هـ الموافق ل 1235 – 1282م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

10 – حسن الخربوطلي، أبو عبيد الله الشيعي، ب. د. ب. ب، 1973م.

11 – حمامة بن زيري – المغراوي، أمير مدينة فاس مملكة مغراوة (لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث، 1969.

12 – بن الذيب وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دط، الجزائر، 2007م.

13 – سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة التعريف بالاسكندرية، 2003.

14 - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطون، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ج3، 1996.

15 – سلمى خضراء الجيوسي، الحضارة العربية في الأندلس، مركز الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1998.

15 – صالح يعزيق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

16 – صالح بن قرية، المسكوكات المغربية بين الفتح الإسلامي إلى سقوط بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت، الجزائر.

17 – ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب – موريتانيا – السودان، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

18 – علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

19 – عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ قبل التاريخ إلى 1960، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

20 – عبد الغني حروز، تراجم أبرز علماء قلعة بني حماد، دورية الكان، العدد 21، 2013.

21 – عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، دار الهدى عين مليلة، ط1، الجزائر، 2012م.

22 – عبد العزيز فيلالي، قلعة بن حماد، الحاضرة الاقتصادية والثقافية.

23 – عويس عبد الحليم، دولة بني حماد، صفحة رائعة عن تاريخ الجزائر، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1991.

24 – مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر.

25 – محمد باشا، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تحقيق محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.

26 – محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005م.

27 – محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال افريقيا ومصر وبلاد الشام (297 – 567هـ/ 910 – 1171م)، دار النفائس، ط2، لبنان، 2001.

28 – محمد جمال سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، مصر، ب. س.

29 – موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري / 11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

30 – محمد بن حسن، قبائل الأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986.

31 – ناصر الدين سعيدوني، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، التجربة الأندلسية بالجزائر، الرياض، 1996.

32 – فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296 – 369هـ/ 909 – 975م) نقله إلى العربي حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1994.

33 – محمد رزوق، الأندلسيين وهجراتهم إلى بلاد المغرب خلال القرنين 17 – 18 ميلادي افريقيا الشرق، ط3، المغرب، 1998م.

34 – هالة محجوب، جماليات الموسيقى عبر العصور، دار الوفاء، ط1، الاسكندرية، 2007م.

ثالثا: المراجع المعربة

35 – جورج ماريسي، بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة عن الفرنسية محمود عبد الصمد، هيكل راجعه واستخرج نصوصه مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1999م.

36 – روبار براشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، نقله عن العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

قائمة المجلات والمقالات والرسائل الجامعية:

1 – مجلة البحوث التاريخية – العدد الثالث، العدد الخامس، تصدر عن قسم التاريخ، السنة الثانية، المجلد02، 2018م.

2 – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية ثقافية (ق7هـ – 13 – 15م)، السنة الجامعية 2012/ 2013م.

3 – محمد سعداني، مجلة قرطاس، عوامل الجذب والطرد في الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط خلال القرن 7هـ – 13م، جامعة وهران، 2021م.

4 – نور الدين النوري، القبيلة والسلطة ببلاد المغرب الأوسط الرستمي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2020م.

5 – الياس حاج عيسى، زناتة المغرب الأوسط، القبيلة والمجال، العدد 1، يناير، 2019م.

6 – فؤاد طوهارة، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي، العدد 15، جامعة الجزائر، 2015م.

7 – عبد الحميد قدور، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية، الجزائر، العدد10، ديسمبر ، 2003م.

8 – أمين كرطالي، مدينة باغاية خلال العصر الوسيط، الجزائر، 2018.

9 – قافة بكوش، الهجرة الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 9هـ/ 11م وقائعها وتأثيراتها، قسم التاريخ، العدد السابع، 2018م.

10 – قاسمي بختاوي، الهجرة الهلالية إلى الصحراء الإفريقية (الأسباب والانعكاسات)، الساورة، 2015م.

11- الطاهر بونابي، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (القرن الرابع هجري إلى سقوط الموحدين 688هـ – 1269م، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الوسيط، 2017م.

12 – العرب الهلالية في بلاد المغرب الأوسط وعلاقتهم بالمجال والسلطة والمجتمع (عهد الدولة الحمادية)، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر، السبيلة، 2021م.

13 – بوباية عبد القادر، الهجرة في المغرب الأوسط واقعها وآثارها من منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن هجري / ق 12 – 14م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، وهران، 2017م.

14 – بوبة مسجاني، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حسن عودة الفاطميين إلى مصر (80 هـ – 699م/ 362هـ – 972م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الوسيط، قسنطينة، 2006م.

15 – الحياة الثقافية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي (296 هـ/ 362هـ) (909م / 973م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، السنة الجامعية، 2014 – 2015م.

16 – مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668 هـ – 1269م القرن العاشر القرن الثالث عشر ميلادي)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط، السنة الجامعية 2017م.

17 – علاقة الدولة الزيرية بالخلافة الفاطمية بمصر (362 – 406هـ/ 973 – 1015م)، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، 2018 – 2019م.

18 – العلاقات الخارجية للدولة الحمادية (408 – 547هـ/ 1018 – 1152م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، البويرة، 2014 – 2015م.

19 – النظام السياسي والإداري للدولة الحمادية (408 – 547هـ/ 1017 – 11152م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، البويرة، 2014 – 2015م.

20 – تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي (ق 5 – 6هـ/ 11 – 12م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، 2015م.

21 – وشائح التواصل الفاطمي بالمغرب الأوسط بعد انتقال الخلافة (197 – 547هـ/ 909 – 1153م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، قسم التاريخ، المسيلة، 2016 – 2017م.

22 - فوزية كرراز، صور من الواقع الاجتماعي للقبائل الهلالية بالقلعة وأحوازها، ملتقى دولي حول مدينة قلعة بني حماد (398 – 1427هـ/ 1009 – 2008م)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2007

23 – الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20 ديسمبر، قسنطينة، 2003م.

الفهرس

الفهرس:

شكر

إهداء

مقدمة 6

المبحث الأول: الهجرة دوافعها وآثارها 12

المبحث الاول: الهجرة دوافعها وآثارها 13

تعريف الهجرة 14

الحكم الشرعي للهجرة 14

أشكال الهجرة 15

ثانيا: دوافع الهجرة 16

ثالثا: آثار الهجرة 20

المبحث الثاني: الهجرات الداخلية في المغرب الأوسط 26

أولا: الدولة الحمادية 26

العلاقات الثقافية والتجارية 31

مع الفاطميين 32

العلاقات الثقافية 34

الحماديون في القلعة 35

علاقة الحماديين السياسية بالخارج 36

مع زناتة 36

ثانيا: القبائل الصنهاجية 39

علاقة صنهاجة المغرب الأوسط..... 42
عوامل التقارب الصنهاجي الفاطمي 44
ثالثا: القبائل ذات الأصل البربري..... 45
قبيلة نفوسة 46
المبحث الثالث: الهجرات الخارجية في المغرب الأوسط..... 53
هجرات الأندلسيين 53
1 -عوامل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط 53
النتائج الحضارية للجالية الأندلسية وتأثيراتها بالمغرب الأوسط 57
أبو سفيان الحسن بن القاسم عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني 60
أبو عبد الله الحسين بن أحمد الداعي – المعروف بالشيعي 62
سياسة الفاطميين في توطيد سلطتهم بالمغرب 63
انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر 64
أوضاع مصر قبيل التواجد الفاطمي 64
ثورة الكتاميين 65
العرب الهلالية بالمغرب الأوسط..... 66
أوضاع المغرب الإسلامي قبيل الهجرة الهلالية 68
1 – الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد المغرب الإسلامي..... 68
2 – الأوضاع الاقتصادية..... 69
3 – أوضاع اجتماعية وفكرية..... 70
أ – حيازة الأرياف والمجالات والضواحي..... 70

خاتمة 73

قائمة الملاحق 76

قائمة المصادر والمراجع 84

الفهرس 92